الإطار الفكري والعقدي لظاهرة
التطرف والتعصب الديني في الأديان السماوية

إعـداد

د.أبكر عبد البنات أدم

د. إسماعيل صديق عثمان

أغسطس ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٠

مقدمة

الإسلام يحظر الاعتداء على النفس البشرية، دون نظر إلى دينها أو معتقدها أو عرقها، ولا يخفى على أحد أنّ بعض مجتمعاتنا العربية تعاني مِن انتشار موجات التطرّف خصوصاً بعد ما سمي بثورات الربيع العربي. وبالتالي فإن الكشف عن جذوره، ومعرفة أسبابه هو موضوع الساعة وهو في نظرنا من أشد الموضوعات حساسية وخطورة وأثراً وأجدرها بالدراسة المستفيضة والمتأنية؛ ذلك لأن المسلمين اليوم وهم يواجهون مشكلاتهم لا يواجهونها وهم على منهج واحد كما تفعل بقيّة الأمم الأخرى بل هنالك مناهج مختلفة نشأت نتيجة عن الابتعاد عن المنهج الرباني الذي ارتضاه لنا جل وعلا، وقد تختلف موجات التطرّف هذه في حدّتها وآثارها مِن مجتمع إلى آخر طبقاً لاختلاف العوامل الطبيعية والبشرية، وقد تتخذ مظاهرَ متعدّدة. وتتنوع الأسباب المؤدية إلى العنف والإرهاب والتطرف، وقد تتضافر كلها أو أغلبها في الظهور لدى الشخص، والتي تمتد آثارها إلى زعزعة النظام المجتمعي، والأمان النفسي الذي يُعد من أهم الضرورات الإنسانية لدى البشرية جمعاء. ولعل أقوى دليل على أن الإسلام رسالة عالمية هو مكافحته للتطرف وللنزاعات الإقليمية والطائفية فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العنصرية والطائفية ويرفض في كل مقاصده مقاييس التفاضل إلا بالتقوى، قال تعالى :(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم) فالإسلام: هو أول من حارب العصبية والتطرف ودعا إلى الأخوة تحت لواء التوحيد الخالص.

أهمية الدراسة: يرتبط التطرف الديني بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة,أما إذا ارتبط التطرف الديني بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب ,فيقع التطرف الديني دائماً في دائرة الفكر، أما عندما يخرج عن المسار الديني يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنفية من السلوك ومن اعتداءات على الحريات والممتلكات والأرواح،أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة، فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب. فالإرهاب هو أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف سياسية, سواء كانت مواجهة داخلية، بين السلطة السياسية وجماعات معارضة

لها,أو مواجهة خارجية بين الدول، إذا هو نمط من أنماط استخدام القوة في الصراع السياسي, تستهدف عملياته كل القرارات السياسية التي لا تخدم أهدافها الإستراتيجية, وذلك بإرغام دولة أو جماعة سياسية معينة على اتخاذ قرار أو تعديله أو تحريره,مما يؤثر في حرية القرار السياسي لدى الخصوم الآخرين. والإرهاب هو باختصار عبارة عن العمليات المادية أو المعنوية التي تحوي نوعاً من القهر للآخرين, بغية تحقيق غاية معينة .دراسة الظاهرة بأبعادها الشاملة وتشخيص المشكلة بصورتها الحقيقية ولدراسة المتغيرات والأبعاد الجديدة التي بدأت تأخذها .نحاول أيضاً أن نلقي الضوء على أثر تلك الظاهرة في توسيع الهوة الحضارية بين الشعوب.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى معالجة موضوع التطرف الديني الإيديولوجي والإرهاب بشكل أكاديمي وعلمي. وفتح الأبواب على مصرعيها للبحث العلمي في هذا المجال الصعب، وفي المجالات المساعدة له خاصة الأبحاث التي يمكن أن تتقصى أبعاد هذه الظاهرة وتجلياتها في المجتمع الإسلامي والغربي على السواء. كذلك تهدف الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التطرف والتعصب الديني والإرهاب وهل يمكن الإقرار بأن وجود الظاهرة أمر طبيعي؟ كذلك محاولة وضع الظاهرة في سياقها الموضوعي والمنطقي الصحيح الذي يساعد على فهمها بالطريقة العلمية بعيداً عن العاطفية ومن كونها ظاهرة طبيعية لا ينفي عنها صفة أنها ظاهرة مرضية لاصحية. فإذا كان القضاء عليها بصورة مطلقة صعب المنال, فإن الحد منها، وتقليص أخطارها وآثارها السلبية على المجتمعات يبقى أمراً مطلوباً[١]. وتأخذ هذه الدراسة أهميتها من النتائج التي يمكن أن تتوصل إليها، فهي بإثارتها لهذا الموضوع تكشف النقاب عن واحدة من المشكلات الكبرى التي تؤرق شأن الإنسانية جميعاً، وتفتح آفاق الاهتمام السياسي والاجتماعي لمعالجتها والتصدي لنتائجها الخطيرة حتى التي تنعكس في مشكلات التطرف والإرهاب المهددة للأمن والسلام العالميين. ومع ذلك، فإن حجم التطرف والغلو لدى الشباب الإسلامي أقل مما يهوله المغرضون في الغرب، ولذا يجب علينا أن نناقش قضية التطرف والغلو بموضوعية علمية لكي لا يستخدم علماء الشريعة سلاحاً ضد هويتهم الإسلامية .

١- التل،أحمد يوسف (٢٠٠٥م).الأرهاب في العالمين العربي والغربي. دار العلم،بغداد،ط١ص١٤.

مفهوم التطرّف

التطرّف لغة: من مصدر تفعَّل – بتشديد العين– من طرف يطرف طَرَفاً بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما والتطرّف لغة: مشتق من «الطرف» أي «الناحية»,أو منتهى كل شئ»[2]. وتطرّف»أتى الطرف»[3]، أي وجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. ويرى بعض اللغويين أن لفظة «التطرف « تستدعي للخاطر كلمة «الغلوّ» التي تعني تجاوز الحد. وهو من «غلا» أي»زاد وارتفع وجاوز الحد «[4]، فالتطرف في اللغة هو الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، ويقصد به اليوم العدول عن طريق الوسطية والاعتدال في شؤون التدين والثقافة والعلاقات الاجتماعية والرؤية السياسية.وهنالك من يرى أن مصطلح التطرف يضاد مصطلح «الوسطية»أي» الواقع بين طرفين»، ويقول الأصفهاني:(إنه يحمل في طياته معنى العدل)[5]. فالتوجيه القرآني كان دوماً يحث على الاعتدال,فالله سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهو يعلي من شأن اليُسر، وهو ينهى عن البخل والشح لأنهما بمثابة تطرف في التعامل مع المال. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد أحد إلا غلبه»[6]. فألاصل في التطرف تكمن في مسألتين هما: في المسائل الحسية، كالتطرف في ممارسة الشعائر العبادية والتعبدية، من أجل هذا كشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل المظاهر الإسلامية للغلاة الأوائل فقال:(يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم)[7]. وفي المعنوية كالتطرف في الدين والفكر،وفي القيم والسلوك.ومن لوازم التطرف أنه أقرب إلى الهلاك والدمار والانهيار، وأبعد عن الحماية والأمان،وهو تعبير يستعمل لوصف أفكار أو أعمال ينظر إليها من قبل المتلقي بأنها غير مبرّرة. ويستعمل هذا التعبير لوصف الأيديولوجيات الدينية البعيدة عن التوجه الديني المألوف لدى المجتمع وكذلك يستعمل للتعبير عن المناهج الدينية العنيفة التي تدعو إلى المحاولة في تغيير الأوضاع السياسية أو الاجتماعية للمجتمع

٢- ابن منظور(١٩٨٤مـ).لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،ط٢ص٧٠٢.

٣- الرازي،ابو بكر محمد(١٩٥٠م). مصباح المنير. مطبعة مصطفى البابي،القاهرة،ط٣.ص٢٥٤.

٤-الجرجاني،عليبنمحمد(١٩٩٨م).التعريفات.تحقيقإبراهيمالإيباري،دار الكتابالعربي،بيوت،ط٢ص٢٢١.

٥- الأصفهاني،راغب(١٩٦١م).المفردات في غريب القرآن.مطبعة مصطفى البابي،القاهرة،ط٢ص١٢٤.

٦- مسلم،بن الحجاج(١٣٣٠هـ).صحيح مسلم.دار الخلافة العلمية،القاهرة،ط٢ج٢:حديث رقم:

٧- البخاري،أبوعبدالله محمد إسماعيل(١٣٣٦هـ).صحيح البخاري.دار القلم،بيروت، كتاب أحاديث الأنبياء،حديث رقم٣٦١٠.

المعين. وقد يعني التعبير أيضاً استعمال وسائل غير مقبولة من قبل جماعة معينة تدفع إلى التخريب والعنف أو الترويج بوجود فلسفة متطرّفة لدى البعض تجعلهم معرضين للشبهة، وعليه يتم استعمال المصطلح كثيراً لأغراض لا تمت للحقيقة بصلة.

ولهذا فالتطرف يُوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى، فثمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة قد وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي.

التطرُّف اصطلاحا: هو مصطلح يُستخدم للدلالة على كل ما يناقض الاعتدال والتوسط، زيادة أو نقصاناً[8]. ونظراً لنسبية حد الاعتدال، وتباينه من مجتمع لآخر وفقاً لقيم وثقافة وعادات كل منها، فقد تعددت مفاهيم التطرف إلى حد جعل من الصعوبة بمكان تحديد أطرها. ومع ذلك حاول البعض التوصل إلى تعريفات لمفهوم التطرف أهمها[9]:

❋ التطرف هو الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة للواقع المعاش.

❋ التطرف هو اتخاذ الفرد أو الجماعة، موقفاً متشدداً إزاء فكر أو أيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق نوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة.

لذلك فإن مصطلح التطرف الديني لم يرد لفظه في الشرع وقد استعمله بعض العلماء كالنووي وابن تيمية ومعناه لغة الوقوف في طرف الشيء والخروج عن الوسط والاعتدال فيه وهو يشمل الذهاب إلى طرف التشديد وإلى طرف التسهيل فالغالي في الدين متطرف والجافي عنه متطرف. وقال الجصاص:" طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه أو نهايته، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفا" . لكن المشهور استعماله في التشدد والتعمق وهو المقصود في خطاب المتكلمين فيكون مرادفاً للغلو ومفهومه في الشرع مجاوزة المسلم الحد الشرعي في كل شيء كما قال الإمام أحمد لأبنه:(لا تغلو في كل شيء حتى الحب والبغض). وقال ابن تيمية:(إياكم والغلو في الدين) فالغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق. فالتطرف الديني إذا يتمثل في سؤ الفهم للنصوص الدينية الذي يؤدي إلى التشدد والغلو، ويطلق عادة على بعض الأفراد الذين يلجئون إلى التفسير عن جهل في أمورهم الدينية ويتأولون النصوص ويضللون الناس وقد نشأ الغلو والتطرف منذ القدم ، حيث ذكر الله تعالى قصة غلو قوم نوح روى ابن عباس رضي الله

٨- الجندي(١٩٨٧م).ص٨.
٩- سليمان(١٩٩٣م).ص١٢.

عنهما في قول الله تعالى (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً)[10] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد حتى هلك أولئك ونسي العلم[11].

وقد يكون التطرف إيجاباً ويتمثل بالقبول التام للفكر(الأيديولوجي، أو القضية موضوع الحوار). أو سلباً ويتمثل بالرفض التام للفكر الأيديولوجي، وهنا يقع حد الاعتدال والتوسط في منتصف المسافة بين القبول والرفض.وفي كلا الحالتين يعتبر اللجوء إلى العنف بشكل فردي أو جماعي من قبل الجهة المتطرفة بهدف فرض قيمها ومعاييرها، لإحداث تغيير في قيم ومعايير المجتمع الذي تنتمي إليه وفرض الرأي بالقوة الفكرية أو بالقوة المسلحة هو أحد أشكال الإرهاب المنظم. بينما يرى البعض الآخر أن تفسير ظاهرة التطرف الديني أمر نسبي يختلف من بيئة لأخرى ومن ثقافة لأخرى، فما تعده أنت من التطرف يعده غيرك من التوسط والاعتدال، وقد يعده آخر نوع من التساهل والتفريط، بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك فربما يمارس الشخص نفسه سلوكاً أو فكراً مقتنعاً به ثم يتغير موقفه ويرى أن ما قام به يعد من التطرف ويتبرأ من فعله وهذا ما نشاهده في كثير من المرجعيات الدينية والسياسية والاجتماعية، ومفهوم الوسطية يستدعي الوقوف لتكوين مفهوم حول الماهية العلمية للوسطية، باعتبارها منهجاً شرعياً بعث به سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام أولاً، وباعتبارها قانوناً يمثل أفضل صياغة للمعادلة بين العقل والنفس ثانياً[12].

وربما كان الاعتراف بصحة مفهوم الوسطية، وتأهيله للتأسيس والصياغة في العلم والعمل، يُعد حقيقة مسلمة لا جدال حولها، بما أن الوسطية هي الميزان والموازنة والتوازن بين الثبات والتغيير بين الحركة والسكون[13]، وفي مفهومها العام تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ

١٠- سورة نوح:٢٣.

١١- ابن كثير،عمادالدين أسماعيل بن عمر(بدون تاريخ).تفسير القرآن العظيم. دار الجيل، بيروت، ط٢ج٣ص١٢٣.

١٢- http://www.forsan.net/books/ahdat_makalat/wasatia.htm

١٣- عبد الله المعتوق، مرجع السابق

في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة[١٤]. فالحياة لا تعدو أن تكون واحدة من حالات ثلاث: إفراط في شيء، أي مبالغة فيه، أو تفريط في شيء، أي تقصير فيه، وحالة بين بين، وهي ما نسمِّيه بالاعتدال، فالمغالاة انحراف، كما أنّ الإجحاف انحراف وخير الأمور أوسطها.

وبهذا يتبين لنا أنه من الصعب جداً أن نحدد مدلول التطرف ونفسره بمفهوم معين ونتفق على ذلك، لأننا لا ننطلق من منطلقات ثابتة متفق عليها ونتحاكم إليها، بل ننطلق من معتقدات وعادات وتقاليد وبيئات وثقافات مختلفة. الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان تفسير ظاهرة التطرف بمفهوم ثابت، وحتى إذا نظرنا إلى الغربيين نجدهم يختلفون في تعيين مفهوم التطرف والإرهاب للتباين الكبير فبمرجعيتهم الدينية والثقافة والعادات والتقاليد. وقد يتفق نظرة الأديان السماوية جملة على تحريم الأفعال الخطيرة التي اتفقت الشرائع على تحريمها كقتل الأبرياء والتعدي على ممتلكات الغير ونحوها، ولأجل هذا وغيره يجب الرجوع إلى أصل التطرف وتعيين مدلوله في الشرع الإسلامي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه والذي جاء بتحريم ومنع الغلو والتطرف في الأقوال والأفعال والاعتقادات واستخدم الأساليب والدلالات في بيان ذلك تارة بالنهي وتارة بالتحذير، وتارة بالغلو لأن الغلو سبب للهلاك، لقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً}[١٥]، وقال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ}[١٦]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في

١٤- الزحيلي، وهبة (٢٠٠٥م). إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور ، مجلة الوعي الاسلامي، العدد رقم: ٤٨١ ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت،ط١ص١٥.

١٥- سورة النساء:١٧١.

١٦- سورة المائدة:٧٧

الدين»[17]، وقال صلى الله عليه وسلم:» لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»[18]، وعن ابن مسعود رض الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:» هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً وهو يقصد بذلك الاعتدال في الأمور كلها. ويرى البعض أن النصارى أكثر الناس غلوا سواء في الاعتقادات أو في الأعمال. فالتطرف اللا ديني سبب رئيسي في ولادة التطرف الديني ولا يمكن مكافحته إلا بالحكمة والعودة للفضائل والقيم الخلقية التي مكانها النصوص التشريعية، والقانون،وتوجيه الخطاب الإعلامي، مصداقاً لقوله تعالى:{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ }[19]. ومن الظواهر السالبة اتجاه التطرف الولاء الأعمى للغرب، من خلال نشأت حركة التغريب والاستلاب الفكري والثقافي في العالم الإسلامي، وهي حركة تُجمِلُ سعيها في تقليد الغرب في مختلف أنشطته التي بدأ لها أن التقاليد الغربية كانت سبباً من أسباب التفوق والتقدم الحضاري، على أساس أنه سنة كونية ظاهرة، وقد وجدت هذه الظاهرة صداها في أكثر الجامعات والمؤسسات التعليمية التي تنتمي للمؤسسات التنصيرية والتبشيرية. ولقد كان هؤلاء الدعاة يرون ضرورة التعامل مع أوروبا في أنظمتها وأولوياتها وعاداتها الخاصة، دون أن يدركوا خطورة الموقف، وأن قوانين الحياة محكومة بظروف كل أمة وموروثاتها وتاريخها، فسرعان ما تبين لهم أن الحضارة الأوروبية نشأت أساساً على المبدأ النفعي لا تعترف بمعاناة الأمم إلا بقدر مصالحها فيها. وهناك أيضا سوء الفهم والتفسير الخاطئ لأمور الشرع ويدعمه وجود من يدعون العلم والفقه في الدين وينصبون أنفسهم أئمة ويتساهلون في أمور الحلال والحرام ويأخذون من الأمور ظاهرها أو وفق أهوائهم الشخصية، دون الرجوع إلى العلماء الأكفاء وأهل العلم الشرعي الصحيح. وربما كان ديدنهم الاستعجال، وعدم الجمع بين الأدلة، أوعدم فهم مقاصد الشريعة.

١٧- النسائي،أحمد بن شعيب(بدون تاريخ). سنن النسائي.موسوعة الدرر السنية. القاهرة،طج٢٢ص١٥٦١.

١٨- العسقلاني،ابن حجر(١٤١٢هـ).فتح الباري في شرح صحيح البخاري. دار الجيل،بيروت،ط٢ج٣:حديث رقم:

١٩- سورة الرعد:١١.

ومع تلك التناقضات الثقافية انقسم المجتمع المسلم إلى تيارات متناقضة منها:

❋ تيار أسلم قيادته وولاءهُ للغرب.

❋ تيار أغلق على نفسه أبواب الحياة والفكر، وعكف على الانعطاف على الذات، ورأى في الغرب شراً محضاً وفساداً مطلقاً.

❋ تيار ينظر إلى سائر الأنظمة العربية والإسلامية على أنها أنظمة ملحدة وكافرة يجب مقاومتها بالجهاد الذي فرضه الله على الأمة.

وينقسم التطرف إلى ثلاثة أنواع:

❋ تطرف الأفراد ❋ تطرف الجماعات ❋تطرف الدولة

وهو موجَّه تجاه بعض الأفراد والتيارات الاجتماعية، ويستغل قوة الدولة وأجهزتها.

وهنالك من قسم التطرف بالنظر إلى عنصر الدين، فجاء التقسيم على النحو التالي:

أ. **التطرف العلماني**: العلمانية في أصلها هي دعوة إلى فصل الدين عن الدولة ولكنها قد تتحول إلى محاربة الدين، ومحاصرة لجميع أشكال التدين مما يجعل من بعض الدول نماذج للتطرف العلماني، حيث تعدّ التدين من الجرائم السياسية التي يجب محاربتها والقضاء عليها[20]، ومن نماذجه: التيارات الاستئصالية في بعض البلدان العربية والإسلامية، فهذه الدول ترفض رفضاً باتاً كل حضور للإسلام في مختلف مجالات الحياة، وتسعى إلى استخدام الدولة في محاصرة مظاهر التديّن.

ب. **التطرف المسيحي**:وهو نوع آخر من التطرف لا يعترف بالآخر، ولا يحق لبشر أن يختلف مع قانون الإيمان المسيحي الذي يتزعمه الكنيسة الكاثوليكية، ويعرف عند الأوروبيين باليمين المسيحي المتشدد، الذي يعلو صوته كثيراً في قضايا الهجرة. وتشكل الإدارة الأمريكية اليوم ''المحافظين الجدد'' نموذجاً آخر للتطرف المسيحي ويرون بأنهم مكلفين بمهمة سماوية خاصة، يجب أن تفرض على شعوب العالم.ج. التطرف اليهودي:وأبرز أمثلته : الحركة الصهيونية التي أسست دولة عنصرية تمارس الاغتيال السياسي وهدم البيوت والمذابح المنظمة... ونحو ذلك.

د. التطرف الإسلامي: وهو الذي ينتمي أهله إلى أمة المسلمين الذين يظهرون اليوم وكأنهم رسل يتحدثون عن الإسلام والمسلمين دونما علم أو فقه، وتضم كل التيارات

٢٠- الزيات،منتصر(٢٠٠٥م). ظاهرة التطرف الأساليب والعلاج. من موقع: http://www.alzayat.com.

الفكرية المتشددة في العالم الإسلامي. وهو الذي يَركز عليه اليوم كل وسائل الإعلام الغربية وبعض العربية بمختلف مكوناتها من صوت وكلمة وصورة وكاريكاتير تحاول صياغة صورة ذهنية تمثّل الإسلام المتطرف في العقل الغربي. وهذه الصور الذهنية عندما تتكرر وترسخ في أذهان الناس تصبح صوراً نمطية (stereotypes) يَغْلِبُ عليها الجمود على أوصاف ونعوت ثابتة تتسم في معظم الأحيان بالتبسيط المفرط والتعميم الواسع من جهة، والتشويه والتحامل من جهة أخرى. فالمقصود بالصور النمطية تلك التصوراتُ العقلية الشائعة بين أفراد أو جماعة معينة، وهي تصورات تحدِّد اتجاه الجماعة نحو المجتمع أو الشعب أو المعتقد أو غير ذلك. ومن هنا تتجلى خطورة التطرف الإسلامي لأنه يوظف من قبل أعداء الإسلام كسلاح ضد الإسلام والمسلمين.

لذلك يجب على الإنسان أن يبدأ حياته القيمية الأولى انطلاقاً من آليات التحليل والتركيب والتقييم، لأن هذه العناصر هي التي تعبر عن الذات العاقلة نحو الوجود الجمعي، وعليها يعتمد في عملية الاندماج في هذا الوجود الذي هو منه وإليه، وبها يكوّن الإنسان الموقف والمبدأ لمعرفة القيمة الحقيقية لوجوده يرفضها أو يقبلها ليتم استبطانها كقيمة تكون مبدأه وسر شخصيته، وعندما تكون الذات الشخصية العاقلة نشطة توظف تلك العناصر(التحليل والتركيب والتقييم) في تنظيم علاقته بالآخرين حيث يولد التسامح والتفاهم والتطور، ويستفاد من الذات العاقلة في تفسير الحقائق المطلقة والمعارف المطلقة، وهنا يولد التطرف المعرفي أو الديني أو السياسي أو حتى العلمي.

فالتطرف الديني أكثر انتشاراً في المجتمعات البشرية لكونه يدغدغ كافة المجالات العقلية والوجدانية والحسية، ومع توظيف للمجال الوجداني،يظهر حدة التطرف الديني والانتقال بالمذهب الديني إلى طرف بعيد عن الوسطية، ويرى القرضاوي:" أن التطرف معناه الوقوف في طرف بعيد عن الوسط "[٢١]. فالمتطرفون يرفضون كل رؤية متجددة, وكل رؤية من شأنها أن تجدد في تحسين المجتمع وذلك باعتبار أن المعرفة الدينية هي اليقين والعلم المطلق والحقيقة المطلقة لأن الدين هو حامل لأسرار جميع العلوم. لذلك نجد أن المتأخرين في كل علوم الدنيا هم الشعوب المتدينة، حتى أن كل المساس بجميع الشعائر العبادية والتعبدية يعتبر كفراً وخروجاً من الملة، وبهذا يتم استبعاد العلوم اليقينية التي تحمل

٢١- القرضاوي، يوسف(٢٠٠١م).التطرف العلماني في مواجهة الإسلام.دار نشر المركز المغاربي للبحوت والترجمة،الرباط،ط١ص٨٧.

الصواب والخطأ وتسود المعرفة اليقينية التي تقوم على الجواب الواحد الصحيح، والتي تستمد قوتها من الإسباغ اليقينية. ونتيجة لتلك المظاهر ظهر أُناس يجهلون أبسط مصادر المعرفة بالعلوم الشرعية, لأن الأصل في ذلك هو التعصب ألظلامي للفكرة والعصبة لا للدين، لأن الدين الإسلامي في حقيقته جاء تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُم فِيشَيْ إنما أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمّ يُنَبِّئُهُم بما كانوا يَفْعَلُونَ }[22]، وقال تعالى:{ وَإِن طَائِفَتَان مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصلحوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إحداهما على الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّه فَإِن فَاءت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[23]، فالقرآن الكريم يأمر بدفع الظلم لا بالتعصب لفئة معينة، فالتعصب مرض نفسي دعا الإسلام إلى تجاوزه، قال ابن حجر:« وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلوا وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى». وهو عام له صور كثيرة فإذا بالغ الإنسان وتعدى حدود الشرع في الاعتقاد أو العبادة أو السلوك أو الأخلاق و المشاعر أو غير ذلك فقد وقع في مسلك التطرف الديني المفرط.

ومن الأمثلة:

❋ **في الاعتقاد**: من يغلو في تعظيم الصالحين ويتبرك بهم ويتخذهم أنداداً وشركاء لله يدعوهم ويستغيث بهم وينذر لهم ويفزع إليهم ويطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله. وكذلك من يغلو في التكفير والتبديع والتفسيق فيتجنى على المسلمين لأدنى شبهة ويستبيح دمائهم وأموالهم وأعراضهم بغير حق .يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ''المتأولون أصناف عديدة بحسب الباعث لهم على التأويل، وبحسب قصور أفهامهم ووفورها، وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه، كان تأويله أشد انحرافًا، فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أخفت عليه الحق، ومنهم من يجتمع له الأمران: الهوى في القصد والشبهة في العلم''[24].

٢٢- سورة الأنعام:١٥٩.
٢٣- الحجرات:٩.
٢٤- إعلام الموقعين (٤/ ٢٥١).

❋ في العبادة: من يبالغ في العبادة المشروعة فيحدث فيها عملاً لم يشرعه الله فيجعل الاستنجاء من فرائض الوضوء مثلاً، ويزيد في عدد الركعات والطواف والطهارة من باب الاحتياط، وكذلك من يحدث ويبتدع عبادة لم يأذن بها الله كالأذكار والصلوات التي ليس لها أصل في الشرع.

❋ **في السلوك**: من يبالغ في النسك والزهد فيحرم ما أباحه الله من الطيبات والنعم فيترك الزواج أو لبس الحسن من الثياب وغير ذلك، وكذلك من يبالغ في التورع عن جميع المكاسب ويشدد على الناس في ذلك حتى يوقعهم في الحرج، وكذلك من يحرم استخدام الوسائل الحديثة التي ثبت نفعها وفائدتها في الدعوة والمصالح العامة. وكذلك من يغلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيحمله ذلك على حمل السلاح وقتال المسلمين.

❋ **في الأخلاق والمشاعر**: من يغلو في حب بعض الأشخاص فينزله منزلة الرسول وربما بالغ فنزله منزلة الرب وخلع عليه أوصاف الرب كما فعلت النصارى مع عيسى بن مريم والرافضة مع علي بن أبي طالب. ومن يغلو في البغض والكره فيحمله ذلك على ظلم الكافر وانتهاك من كانت له حرمة والغدر به وخيانته، ومن يبالغ في بغض الفاسق المسلم حتى يعامله معاملة الكفار، وكذلك الغلو في إظهار الفرح حتى يحمله ذلك على الإسراف والبذخ وفعل المحرمات. والمبالغة في الحزن عند المصيبة حتى يحمله ذلك على السخط والجزع، والاعتراض على القدر باللطم والعويل وغيرها من مظاهر الجاهلية.

فليس بالضرورة أن يتجسد التطرف الديني على شكل اعتداءات جسمانية ففي الأغلب يأخذ شكل اعتداء كلامي ضد أصحاب الديانات والمذاهب الفكرية المختلف حولها، أو مع جهات لها تفسيرات مخالفه لأفكار المتعصب الذي يعاني في الغالب من أحادية التفكير. ففي مثل هذه الاعتداءات الكلامية يستطيع المتعصب أن يؤكد أنه الصحيح، أما المخالفين لدينه أو مذهبه أو أفكاره هم على الخطأ، وبالتالي يستخدم عبارات دينية أو نصوص من الكتاب المقدس لتقوية الحجة، أو بإمكانه استخدام الإحداث التاريخية لتقوية مبرراته مثلاً في الحروب الصليبيين: "إن المسلمين اضطهدوا المسيحيين وبدفعهم الجزية" وذلك حرصاً منه في خلق الكراهية بين المسلمين والمسيحيين، أو لشحن مشاعر السخرية، فالمتعصب بطبيعة الحال يبنى أطروحته على أساس حاجته ومصلحته فيتجه نحو الاعتداء المبطن على أصحاب الديانات أو التيارت الفكرية

المعادية لأفكاره ويعتبرهم ليس لهم قيمة في هذه الحياة ويجب جهادهم أو محاربتهم.[٢٥]

فالتطرف الديني هو منظومة من الأقوال والأفعال المحدثة بفعل اعتقادات وقناعات وقيم مستخدمة تسم بشخصية وبسمات المتطرف المنحرفة فكراً وسلوكاً، خاصة عندما يتعاون مع الوسطاء والوكلاء الدينيين الذين يتولون التنشئة والبرمجة والإيحاء الديني، فيصبح الفرد المستهدف مدمناً في عقار التطرف، فلا يستطيع التخلص منه ببساطة. وينشأ التطرف الديني نتيجة تظافر عدة عوامل ذاتية تتعلق بشخصية المتطرف، وأخرى موضوعية تتعلق ببيئة المتطرف. فالجهل بحقيقة الدين وبمقاصده في بعدها الإنساني يولد عقليات عاجزة عن التحليل ومفتقدة لأدوات النقد كما يفرز التفكير غير الطبيعي للانقياد الأعمى والتسليم لغيرها دون أدنى مقاومة. فيتحول المتطرف من عالم المجون إلى ساحة التعصب بشكل مفاجئ، وقد يتغير بفعل عوامل التنشئة من متطرف أشد إلى بوق للفساد والاستبداد، بل قد يخون أعز الأصحاب ورفاق الدرب في أي لحظة تلوح له أنها النجاة مما يجعله يفقد توازنه الاجتماعي، بل يمنعه من ربط العلاقات الإنسانية لأنه يمارس الظاهرة وهو جاهل بخطورتها التي تشكل لديه رؤية أحادية للعالم الخارجي، والتي تعوق فهمه لقوانين الحياة ولطبيعتها النسبية القائمة على أن الحكم فيه ذاتي وموضوعي، ومن فرط جهل هؤلاء أنهم يعتقدون أنهم مسئولون عن ضمائر الناس، وأن بيدهم مفاتيح الجنة وسلاسل النار، وهذا نوع من أنواع الاستبداد، ولا يدرك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حراً قائده العقل[٢٦].

فالمتشددون المتدينون يعتبرون أن من الواجب الديني أن يكون هنالك تشدد حتى يواجه الاستفزازات التي يمارسها البعض على المتدين، فكلما ازداد التطرف كلما ازداد الالتحاق بفسطاط التشدد والتعصب الديني، ومن خلالها يتم استبعاد مفهوم الخيرية لقوله تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ امَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُون بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُون بِاللَّه وَلَوْ آمَن أَهْلُ الْكِتَاب لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُون وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }[٢٧]، لذلك كان التوجيه الرباني صريحاً فيما يخص احترام معتقدات الناس وعدم التعرض لها بالسب

٢٥ - Tyerman٢٠٠٦:١٢
٢٦ - الكواكبي(١٩٧٨م).ص٢٠.
٢٧ - سورة آل عمران:١١٠.

والتنقيص لقوله تعالى:{ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ [28]يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عدْوا بِغَيْرِ علْم}، لذلك فإن تنفيذ أمر الدعوة توجهها تحديات جسيمة تحتاج إلى تجاوز الألفاظ الوهمية، وإلى تفعيل ربط المسؤولية بالمحاسبة في الحقل الديني الذي يعاني من حروب بالوكالة بين مختلف القيمين الدينيين، نظراً لغياب الإرادة الحقيقة وتفعيل الفصل الوظيفي بين الرسالة الدعوية القائمة على ثوابت الأمة ووحدتها العقدية والمذهبية وبين التدافع السياسي المتسم بالحرب والتواطؤ والتحالفات وغيرها. وتحقيقا للسلم المدني وتقوية روابط الأخوة الإنسانية في تناغم غير مبتدع بين وسطية الدين وديمقراطية السياسة يجب أن تكون صورة الإنسان أمام نفسه لها قيمة كونية. فالإرهاب اليوم أصبح عالميا تعرف بظاهرة عولمة الإرهاب(The globalization of terrorism)، فلا يصح أن تكون المقاومة محليا أو معتمدة فقط على المكافحة المحلية،بل تحتاج إلى عولمة المقاومة والتعاون والمكافحة، والاستئصال.فلابد أن تتضافر كل الجهود لرصد كل مظاهر وأشكال ودرجات التعصب الديني، والتطرف الإسلامي، من الأفراد والجماعات، ومكافحتها دولياً، لأن العقل والمنطق يقولان إن كل شئ قابل للتغيير إلا الحقائق الإلهية.

وقد انتشر مفهوم التطرف بين علماء علم الاجتماع في الستّينات والسبعينات من القرن العشرين. ويقول العالم جيروم هيميلستاين:" إن في أحسن الأحوال هذا الوصف لا يدل على شيء محسوس عن الأشخاص الموصوفين به، وفي أسوأ الأحوال يرسم صورة خاطئة"[29]. فيرون إنّ تصنيف شخص أو مجموعة عمل كمتطرّف في أغلب الأحيان هو تقنية لتحقيق هدف سياسي، خاصة لدى الحكومات حيث يستعمل لتمرير قوانين معينة، أو شن الحروب، فبدلاً من اعتبار أنفسهم متطرّفين، فإنهم يميلون للأعمال المتطرّفة. وأعاد جون فيزجيرالد كندي صياغة دانتي بقوله:»الأماكن الأسخن في الجحيم محجوزة لأولئك الذين يظهر حيادهم أثناء الأزمات الأخلاقية»[30]، ويرى باري غولدوير:» أن التطرّف في الدفاع عن الحريّة ليس بالرذيلة، والاعتدال في مسعى العدالة ليس بالفضيلة «[31]، ومن الأقوال التي تداولت في مؤتمر الجمهوري عام ١٩٦٤م فالمتطرف برأي شخص هو مقاتل للحرية برأي شخص آخر.

٢٨ - سورة الانعام:١٠٨.
٢٩ - التل (١٩٨٩م).مصدر سابق، ص١٦.
٣٠ - سليمان (١٩٩٣م).مصدر سابق، ص٥٣.
٣١ - مارشال ، سابق ، (٢٠٠٠م).ص١٢.

سيكولوجية التطرف الديني

إن التّطرف ظاهرة عالمية عابرة للدول تحت عناوين الإرهاب والتعصب الديني وبمضامين متنوعة كتغيير النظم السياسية وإسقاط الحكومات، والحق أن الدراسات السابقة التي أجريت على التطرف كانت تركز على الديانة المسيحية بشكل أساسي، ثم يليها الديانة اليهودية، وقد تغيرت النظرة وبات أمر الاهتمام يتركز وبشكل أساسي على الديانة الإسلامية، ولعل هذا ما تركز عليه دراستنا أيضاً، وذلك لشدة وضوح التطرف وانكشافه، وتواتر الحديث عنه على مستوى العالم فيما يخص الإسلام والمسلمين. وهي معضلة أرّقت الكثير من الحكومات في الدّول العربية والإسلامية فضلاً عن الغرب الأوروبي حيث أنها أصبحت تُمثل تهديداً حقيقياً لاستقرارها الداخلي وأمنها الوطني، وبسببها تكبّدت هذه الدّول خسائر كثيرة ليس في الأرواح فحسب، بل أيضاً في حرمانها من استكمال مسيرة البناء والتشييد والاستثمار في حقول المعرفة ومجالات العلم المختلفة، وتحقيق نهضة تنموية على جميع الأصعدة.

فالتطرّف الديني له أسبابه ودواعيه، من أهمها غياب المرجعية الدينية، وتراجع دورها الإيجابي في إصلاح الراعي والرعية. فالمرجعية الدينية والعلمية تمثلان الأطر البشرية العلمية المؤهلة والمتخصصة في ميادين العلم المختلفة سيما في ميدان علوم الشريعة الإسلامية؛ هذا بالإضافة إلى افتقار بعض الدول العربية والإسلامية إلى التنظيم الإيجابي، وتوحيد المواقف لمواجهة الظواهر السالبة تحت اسم الدين والتدين كثيراً ما يحيق باستقرار مؤسّسات الدولة وأمن مواطنيها وسلامتها لإظهار الممارسة القويمة لعملية الإصلاح والتغيير وفقا لمقتضياته القرآنية وقيوده المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله سلم،وبعيداً عن مناهج الإعتساف ومسالك الانحراف؛ حيث أنها تمثّل منبراً دينياً رسمياً لإرساء رسالة الإسلام الداعية إلى الوسطية والاعتدال،من خلال تأسيس مرجعية دينية يقطع الطريق أمام العابثين بمصائر الأمة، لقوله تعالى:{ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْم وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ}[٣٢]، فوجود المرجعية الدينية يُساعد على توحيد مواقف العلماء أو تقريب وجهات نظرهم، وتقليل الاختلاف بينهم إزاء مظاهر التطرّف الديني الذي ترزأُ الأمّة تحت رحمته ويحيد بها عن جادّة الصواب. فاجتماع العلماء ضمن

٣٢ - سورة النور:١٥.

هيئة رسمية يرسم الطريق الصحيح نحو حلّ إشكالية توحيد الفتوى، خاصة فيما يتعلّق بالنوازل الجسيمة التي تحلّ بالأمة. عليه فإن وجود المرجعيات الدينية في شقها العلمي تُسهم في وأد التطرف الديني في مهده، أو التقليل من تأثيراته السلبية، كذلك يُساعد على تصحيح المفاهيم والأفكار والإيديولوجيات التي تقف من وراء التطرّف وتُسوّق له، وإزالة ما يُثيره من شبهات على مستوى الفكر والعقيدة والمنهج والسلوك.لذلك أنه من الخطأ الربط بين مظاهر التطرّف والأصولية المتشدّدة بالدين الإسلامي أو بأيّ دين سماوي آخر؛ لأن استباحة الدماء واستحلال الأعراض والأموال باسم الدين كشريعة أو باسم التديّن كممارسة للشريعة ليس من الدين في شيء،فالمشكلة في أساسه تكمن في سوء فهم تعاليم الدين والتطرف في تطبيقها والتشدّد في ممارستها، فالأديان السماوية جميعها تبرأ من ذلك وتنبذه ولا تدعوا إليه،ولو رجعنا إلى تعاليم الإسلام نجد إن رسول الله عليه وسلم الذي جاء برسالة الإسلام كبشارة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.لذلك فإن تأسيس المرجعية الدينية بصورة مستقلة وبعيدا عن أملاءات السياسيين تقف سداً منيعاً في وجه دعاة التطرف الديني والفاعلين له. كما تقود الأمم إلى بر الأمان وتُنير دروبها ومسالكها من التطرف الوضعي كما يرد في بقية الأديان والذي يصور النظرة إلى الآخرين كما يصوّرها التلمود.

ففي التعاليم اليهودية نجد الزعم القائل بأنهم «شعب الله المختار». بل جاء في التلمود بأنَّ أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أنَّ الإبن جزءٌ من والده، أما الأرواح غير اليهودية فهي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات. وجاء في التلمود أيضاً» أنَّ الإسرائيلي معتبرٌ عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أميٌّ إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية»[٣٣]. ويعتقد اليهود بما سطّره لهم حاخاماتهم من أنّ اليهودي جزء من الله، كما أنّ الابن جزء من أبيه. ولذلك ذُكر في التلمود «أنه إذا ضرب أميٌّ إسرائيلياً فالأميّ يستحق الموت. وأنه لو لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خُلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب[٣٤]. وقال الحاخام (أباربانيل):» الشعب المختار(أي اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي

٣٣ – الأميّ كل من ليس يهودياً.
٣٤- انظر: نصر الله: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص٧٣.

الشعوب فمثلهم كمثل الحمير».

١. ويروي التلمود أنه لما قدم بختنصر ابنته إلى زعيم اليهود ليتزوجها، قال له هذا الزعيم: إني يهودي ولستُ من الحيوانات. ويعتبر اليهود من سواهم أعداءً لهم، ولا يجيز التلمود أنْ يشفق اليهود على أعدائهم، ويُلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشُّوا من سواهم. فقد جاء فيه:» يَلزم أنْ تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين». ويمنع التلمود اليهود أنْ يُحَيُّوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم، ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود[٣٥]. فليس هناك في نظرنا أخطر من هذا التطرف المدعوم من كتاب يقدسه اليهود وينظر اليهود الأرثوذكس على أنه كتاب مقدَّس منزَّلٌ مثله مثل التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، بينما أعطاه التلمود مشافهة. فعلى هذه التعاليم الفاسدة يشبّ الصغير، ويشيب الكبير، وتتأصَّل العادات، وتنتقل الصِّفات والأخلاق الدينية جيلاً بعد جيل، وتتشابه بها قلوب اليهود في كلّ مكان وزمان، لأنها تستقي من مصدر واحد.

٣٥- شلبي، أحمد ١٩٧٨(م). اليهودية.مكتبة وهبة،القاهرة،ط٢ ص ٢٦٨.

مفهوم التعصب

لغة: يأتي بمعنى الشدة يقال لحم عصب: أي شديد الصلب، وأتعصب أشتد، والعصب: الطي الشديد، وعصب رأسه وعصبه تعصيباً: شده[36]. ويضرب مثلًا بالرجل الشديد العزيز الذي لا يقهر ولا يستذل. ومنه قوله تعالى:{ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِم ذَرْعا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}[37]، أي شديد. ويأتي بمعنى: التجمع الإحاطة والنصرة، ومنه قوله عصبة الرجل: أي بنوده وقرابته لأبيه، والعرب تسمى قرابات الرجل أطرافه، ولما أحاطت به هذه القرابات وعصبت بنسبه سموا عصبة وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به[38]. ويقال عصب القوم بفلان أي استكفوا حوله والعصبة والعصابة جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. والتعصب من العصبية والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين. والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم[39].

اصطلاحاً: لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فالتعصب هو التشدد وأخذ الأمر بشدة وعنف وعدم قبول المخالف ورفضه من أن يتبع غيره ولو كان على صواب. وكذلك التعصب هو نصرة قومه أو جماعته أو من يؤمن بمبادئه سواء كانوا محقين أم مبطلين، وسواء كانوا ظالمين أو مظلومين. كما هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين إما بدافع تعصب المرء لمعتقداته الدينية أو التعصب بالممارسة ضد الآخر. وتتجلى ذلك عند كافة المستويات الثقافية والفكرية والاعتقادية والاجتماعية، فالتعصب الديني يمكن أيضا أن يكون إدعاء بتمايز أصحاب دين من الأديان على أصحاب الديانات الأخرى، ويمكن أن يكون غطاء للدوافع السياسية الكامنة. لذلك فان المعتقدات والممارسات التعبدية قد يتعارض مع أي معتقدات ولكنه لا يشكل في حد ذاته تعصب. وهناك حالات كثيرة عبر عنها التاريخ تحمل اختلاف الممارسات الدينية عند أصحاب الأديان السماوية، خاصة عندما أدرك الإنسان أهمية التكوين المجتمع، أو قيام الجماعات. وعلى هذه الشاكلة فالتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل

٣٦- الرازي،أبو بكر (١٩٥٠م).مصدر سابق.ص١٢٣.
٣٧- سورة هود:٧٧.
٣٨- الجرجاني،محمد عابد(١٩٩٨م). مصدر سابق.ص١٢١.
٣٩- ابن منظور(١٣١٢هـ). مصدر سابق.ص٥٠٣.

إلى جانب[40]. إذن التعصب ظاهرة قديمة حديثة ترتبط بالعديد من المفاهيم كالتمييز العنصري والديني والطائفي والجنسي والطبقي، فإذا نظرنا للحروب والصراعات التاريخية نجد أن كثيراً منها كان سببه هو التعصب للدين أو العرق أو اللون، وما زالت هذه الظاهرة تتجدد باستمرار في عصرنا الحالي، وتشكل آفة لتدمر الشعوب.وقد صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني عام ١٩٨١م إعلان خاص بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقدات، وتعني أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الدين أو المعتقد ويكون غرضه أو أثره تعطيل أو إنقاص الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على أساس من المساواة.وللتعصب عدة تعريفات قدمها علماء النفس إلا أنه قد تم التركيز في البداية على التعصب السلبي باعتباره حالة مرضية تتعارض فيها حيثيات التوافق النفسي والصحة النفسية مع التكيف الاجتماعي, ويقول كيوكومب ١٩٦٥م:›› يمثل التعصب استعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد لأشخاص آخرين لكونهم أعضاء في جماعة معينة››[41]، ويرى ستيفان ١٩٩١م أن التعصب:››هو اتجاهات سلبية تجاه أفراد ينتمون إلى جماعة معينة قامت على أساس ديني» إذن التعصب هو حالة نفسية يقع فيه الفرد قسرياً أو إرادياً,ففي الحالة الأولى تسببه الضغوط والظروف النفسية التي يتعرض إليها الإنسان حين يصاب بحالة مرضية يفسد معها المزاج الاجتماعي,أو تسببه الظروف الاجتماعية القاهرة حين يتعرض الشخص للضغط الاجتماعي العام الذي يفرض من خارج الذات، وقد يصاحبه انفعال زائد ثم يتبعه سلوك عدواني يغيب معه المنطق,أو تسببه الظروف السياسية حين تكون ممارسة النشاط السياسي ضاغط على الحياة العامة، وهنا يعلو صوت المصلحة الحزبية الضيقة على المصلحة الوطنية. وهنالك من يرى أن مفهوم التعصب يعني؛ عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب ما، وفي اللاتينية Fanatique يعني المبالغة في الحماسة لدين أو رأي أو فكر معين، وقد استعمل في الغرب مفهوم zelotism بمعنى التزمت الديني للتنديد بالتعصب الديني الذي ظهر في العصور الوسطى والذي أدى إلى نشوب حروب دينية غيرت من وجهة الإنسان الأوروبي، وقد أطلق اللفظ في القرن الأول الميلادي

٤٠ - حجازي،أكرم (٢٠٠٨م).مدخل إلى السلفية الجهادية. ط١ص٥٧.

٤١ - حجازي (٢٠٠٦م).مصدر سابق.ص١٢١.

على محاربين من اليهود إرهابيين ومتعصبين دينياً يهدفون إلى تحرير اليهود من الحكم الروماني، وفي الواقع ليس كل تحمس لدين أو فكر أو مذهب أو طائفة أو جنس أو فريق يسمى تعصب إنما التعصب مظهر للإفراط والمبالغة في التحمس والادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة. فالتعصب ظاهرة نفسية اجتماعية تبدو بأشكال متنوعة ومتعددة، وفي حال استفحالها، تنتج نتائج خطرة على المستوى الفردي والجماعي، ففي أعماق كل منا يوجد استعداد كامن لهذه الظاهرة تنبهه أو تنميه عوامل متعددة؛ ابستمولوجية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية قد تتداخل معاً، فالابستومولوجيا تلعب دوراً في تشكل هذه الظاهرة عند ما يغيب التفكير العلمي، فيسود المجتمع التفكير الخرافي أو الأسطوري، عندما يعتمد الشخص على مصادر معرفية ضعيفة معتقداً أنها تقوده إلى معرفة مطلقة، وقد رد علماء التحليل النفسي ظاهرة التعصب إلى عوامل لاشعورية تكمن في نفس المتعصبين، وهم أناس نرجسيون عدوانيون لم يحظوا بالأمن أو بالرعاية في طفولتهم، يوجهون عداءهم نحو شخص أو جماعة يصفونها بأنها العدو، ومعظمهم أصحاب نفوس مريضة ذهانية لا يبالون أو يخشون ارتكاب الآثام وانتهاك المحرمات ويتصفون بموت الأنا الأعلى أي موت الضمير، ويتسم المتعصب حسب رأي فرويد بالنرجسية وادعاء القدرة الكلية وممارسة الإسقاط الذي يريحه من شبهات الضعف والعجز والقصور البشري، ولا يحمل الفكرة العلمية، وينكر حدود إمكانياته، ويفرط بعض المتعصبين بالتدين ويعتبرون أنفسهم أقرب إلى الله تعالى، أو أنهم يملكون قوة إلهية تميزهم عن الآخرين حيث يمتزج لديهم الفكر الروحي بالفكر الديني، ومن الملاحظ أن المتعصب يخفي عذاباً بسبب شعوره بالنقص والدونية والعجز، لهذا يحرص على الانتماء أو إقامة علاقات مع نفر من الصفوة، ولا يتورع عن المشاركة في أعمال عنف/ إرهاب فالتربية الخاطئة تنمي الاستعداد الكامن للتعصب وتزكيه، فبالمقارنة بالآخرين تولد الغيرة والغضب والحسد والرغبة في تحطيم الآخر، وفي حال محاولة الأهل معالجة الغيرة عن طريق تعظيم الفرد تتعاظم نرجسيته وحبه لذاته الأمر الذي يؤدي إلى تضخم مرض الذات، وقد يؤدي تضخم صورة الذات لديه إلى الإصابة بجنون العظمة وتقمص صورة البطل القادر على حل كل المشكلات المستعصية، التي في نظره تمثل الغريب أو الشر الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، ويمكن حصر السبب الأخير في:

١. عدم القدرة على إقامة تعاون دولي جدي من قبل الأمم المتحدة، وحسم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للدول، والتقليل من الهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة. كذلك فشل الميثاق في تحقيق مستوى حياة أفضل للغالبية العظمى من شعوب العالم.
٢. عدم قدرة المنظمة على إيجاد تنظيم عادل ودائم لعدد من المشكلات الدولية المعاصرة. مثل اغتصاب الأراضي والنهب والاضطهاد والغلو في الدين، وهي حالة كثير من الشعوب[٤٢].

فالمتعصب يستطيع أن يكون حزباً أو جماعة إرهابية دينية أو طائفية أو عرقية، حيث يستقطب أمثاله من عصابيين ومرضى نفسيين أو من المنبوذين أو المهمشين أو الفقراء المعدمين الذين يتطلعون إلى مثال يتعلقون به يدعي أنه قادر على إزاحة الشر، وخاصة إذا كان ممن تتولد في مخيلتهم الحلول الأخروية؛ كإقامة الفردوس على الأرض أو التمهيد لحلول الخلاص النهائي، أو إقامة دولة تمثل الايدولوجيا التي يتبناها هو وأتباع الإنطوائيون والعاطلون، لأن فقر الحياة الاجتماعية يجعل المتعصب يخلق لنفسه مطامع وأهواء هرباً من الفراغ الذي يعيشه، فيعتمد على اسم عشيرته أو قبيلته أو جماعته الحزبية أو الدينية، ويتعصب لها ويبرر أخطاءها وينفذ أوامرها ولو كان فيها خطر على الحضارة.

ولقد أرسى الإسلام، من خلال مبادئها الإنسانية السامية، أحكاماً وقواعد للتعامل بين الناس والتعارف بينهم، تقوم على العدل والمساواة في الحقوق والواجبات كما منع التعصب، ونهى عنه، لما له من أثار سيئة مدمرة للإنسان، أشهرها: إثارة الفتنوغرس مشاعر الحقد والكراهية، وسفك الدماء بين الناس، ومنع الآخرين من ممارسة حقوقهما المشروعة، كحق التعبير وإبداء الرأي.وأكد أن أصل الإنسان واحد، وأن الناس متساوون في الحقوق العامة، لقول رسول صلى الله عليه وسلم:" يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا الأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[٤٣]. فالإسلام منع أن يكون

معيار التفاضل بين الناس قائماً على أساس العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس، ووضح أن هذا الاختلاف إنما هو دليل على قدرة الله تعالى عز وجل، وليس للتفاضل، لقوله

٤٢ - الظاهري (٢٠٠٢م).ص٥٧-٥٨.
٤٣ - أحمد، الإمام(بدون تاريخ). مسند الأمام أحمد. دار الاندلس. القاهرة، حديث رقم٢٢٣٩١.

تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَاف أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات لِّلْعَالِمِينَ }[44]. كما أن الإسلام لم يمنع أن يكون الإنسان له روابط وصلات غريزية كرابطة الدم والمصالح الشخصية، إلا أنه يريد أن يجعل ولاء المسلم لعقيدته ودينه أولاً، ولا يجوز تفضيل أي رابطة عليها ، لقوله تعالى: { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وأبناؤكم وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْن كَسَادَهَا وَمَسَاكِن تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِه فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }[45]، فولاء المسلم لعقيدته لا يتعارض مع مشاعره الفطرية في الميل إلى الأهل والعشيرة والوطن وخير دليل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نظر إلى مكة مودعاً قال قائلاً :» والله أنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أخرجت منك ما خرجت«[46]، وعندما سئل صلى الله عليه وسلم:» أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ قال: لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم«[47]. فليس من التعصب المذموم أن ينتصر المسلم للحق ويعمل على رفع الظلم عن إخوانه المسلمين ويعمل على تحقيق الخير والمنفعة لهم. فالمجتمعات المقفولة عادة هي المجتمعات التي يسود فيها التعصب على عكس المجتمعات المفتوحة التي يستطيع كل فرد التفكير بحرية مطلقة كالمجتمعات الأوروبية التي يسيطر عليها القساوسة والإقطاعيين.

ومع التطور التكنولوجي أصبح رجال الدين أكثر الأفراد ميلاً للأفكار العدوانية فكثيراً ما يستغلوا الوسائط الإعلامية لنشر أفكارهم والتحريض على أتباع الديانات والمذاهب الفكرية الأخرى سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فالشخص المتعصب يمتلك أحاسيس مشبعة بالكراهية ضد أتباع الأديان والفلسفات هدفه خروج شخص من دينه أو مذهبه والانضمام لمعتقد الآخرين. بطبيعة الحال تلعب الأمراض النفسية المرتبطة بالكبت والعدوانية وغيرها أدواراً كبيراً في تكوين مزاج الشخص المتعصب. فإذا نظرنا للخارطة الدينية في منطقة الشرق الأوسط نجد أن هنالك عدد كبير من المتعصبين الدينيين والوعاظ المتعصبين قد انتشروا في كل مكان يعتدون على كل دور حتى أصبحت المنطقة تعرف في

---

٤٤ - سورة الروم:٢٢.

٤٥ - سورة التوبة:٢٤.

٤٦ - الترمزي(بدون تاريخ). سنن الترمزي.دار القلم، القاهرة،ط٢ج٢،كتاب المناقب، حديث رقم٢٨٦٠.

٤٧ - ابن ماجة(بدون تاريخ).سنن ابن ماجة.دار العلمين، القاهرة،كتاب الفتن:حديث رقم٣٩٣٩.

أذهان الناس بالعالم المتعصب. فالتعصب الديني هو ظاهرة بشرية طبيعية يتعلق بطبائع البشر وميولهم ونفسياتهم، باعتباره يمثل أنشطة عن معتقدات واتجاهات ومشاعر وأفعال واستراتيجيات تبناها شخص أو جماعة بطريقة تبعده عن الأوضاع السائدة بين الناس، وهو بمثابة التطرف الديني الذي يقوم عادة على مجموعة من المعتقدات تتفاوت في مرونتها أو جمودها, وتختلف في سطحيتها أو عمقها، وتتنوع في آليات عملها[٤٨]. وبناءً على هذه المعتقدات يتم استقطاب الجماعات الإرهابية من خلال تنمية اتجاهاتهم إزاء مجتمعاتهم ودولهم للسعي وراء تنفيذ بعض العمليات كالانقلاب باعتبارهم شهداء. ويتم ذلك من خلال برنامج للحشد والتعبئة لتغذية مشاعر الأعضاء الذين تم تجنيدهم بكراهية الواقع الاجتماعي الذين يعيشون فيه ,تمهيداً لإقناعهم بإستراتيجية السيطرة على الأوضاع، وإقناعهم بالقيام بالأفعال الإرهابية المنوط بهم تنفيذها. فالحقيقة الماثلة أن الفكر الديني المتطرف فرع من فروع التطرف الإيديولوجي بوجه عام، فالتطرف قد يعبر عن الجماعات اليسارية كما يعبر الجماعات اليمينية. ولعل جماعة الألوية الحمراء الإيطالية الماركسية التي قامت في السبعينيات بحوادث إرهابية متعددة تعد نموذجاً للتطرف اليساري,في حين أن جماعة الكلوكلوكس العنصرية في أمريكا والتي تشكلت أساساً لملاحقة السود تعد مثالاً للتطرف اليميني[٤٩]. فالتطرف الإيديولوجي هو ظاهرة معقدة لأنه ينطوي على العديد من الأبعاد، فهو عبارة عن أنشطة تتمثل في معتقدات واتجاهات ومشاعر وأفعال واستراتيجيات يتبناها شخص أو جماعة بطريقة بعيدة عن الأوضاع السائدة بين الناس، وهذه الأنشطة تأخذ شكلاً عنيفاً من أشكال الصراع بين جماعات متطرفة والسلطة السياسية نتيجة الحرمان النسبي أي سيادة الجهل والفقر والافتقار إلى الخدمات الصحية والغذاء السليم والتعليم وكلها تتضافر لكي تشكل مبررات للعنف.

وإذا أضفنا إلى تفسير الحرمان النسبي باعتباره أحد منابع الإرهاب وإنكار النظم السياسية للحاجات الإنسانية الأساسية كالحاجة إلى الأمن والكرامة أو عدم الاعتراف بهوية الجماعات المختلفة ومنعها من الدعوة إلى مبادئها المتطرفة هذا بالإضافة إلى الفجوة التي تزيد اتساعاً بين ما يعتقد الناس أنهم يستحقونه وما يمكن لهم الحصول عليه,كل هذه

٤٨ - الخواجة (٢٠٠٣م).ص٢٢.

٤٩ - السيد،رضوان (١٩٩٠م).الصراع على الإسلام. مكتبة الأمل، بغداد،ط١ص٣٩.

العوامل أو بعضها يمكن أن تكون سبب مباشر للتطرف الديني خصوصاً حين تنعدم المسالك المشروعة للتعبير عن الاحتياجات الضرورية التي تكفل حياة الناس. فالتأمل في مشهد الإرهاب اليوم يقودنا إلى نتيجة مهمة أن الإرهاب هو أداة أو وسيلة لتحقيق مطامح سياسية سياق المواجهة الداخلية بين السلطة السياسية وبين جماعات معارضة لها أو أداة للتعامل بين الدول بعضها البعض فالإرهاب يتضمن انتهاكاً صريحاً للقواعد القانونية والشرعية العامة بالإضافة للقواعد العرفية والدينية السائدة مما يفرض واقعا يحتم إشاعة الإحساس بعدم الأمانة, واستحالة التنبؤ به فهو لا يقصد لذاته,بقدر ما ينطوي عليه من رسالة موجهه إلى كافة الضحايا المحتملين حيث يوقع الرعب في القلوب ويثير التساؤل عن ماهية الضحية التالية. وتقوم الجماعات الإرهابية بارتكاب أعمال عنف ذات طبيعة إجرامية خارجة عن قوانين الدولة وهذا يدفع الحكومة المستهدفة إلى القيام برد فعل عنيف لقمع هذه الجماعات,وسن قوانين الطوارئ التي تحد من الحريات وغير ذلك من الوسائل التي لا تؤدي في أغلب الأحوال إلى إنهاء حالة العنف والإرهاب، ولا تؤدي إلى القضاء على هذه الجماعات بل إن جميع هذه الأعمال القمعية التي تقوم بها بعض الحكومات قد تؤدي إلى المزيد من الإرهاب والعنف تعبيراً عن استياءهم ورفضهم للمعاملة، فهم يجعلون المدنيين أهدافاً مشروعة لعملياتهم الإرهابية. إذا الإرهاب الذي نشاهده اليوم هو أداة لصراع سياسي تمليها إمكانات وظروف القوى التي تلجأ إليه، فإذا ما توفرت ظروف وإمكانات فإن تلك القوى سوف تكون مستعدة لتطوير أدواتها وأساليبها. ومن أخطر الظواهر السلبية التي شاعت في العالم المعاصر ظاهرة الإرهاب المنظم والذي امتد خطرها شمل العالم كله,فلم يعد مجتمع من المجتمعات البشرية بمنأى عن هذا الخطر لأن الإرهاب ليس له وطن ولا دين ولا جنس ولعل الأعراف والمواثيق الإنسانية والأديان السماوية جميعها وفي مقدمتها الإسلام ترفض لفظ الإرهاب، لقوله تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَداسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لا انفصام لَهَا وَاللّهُ سَمِيع عَلِيمٌ }[٥٠]، فالإكراه هو أن تحمل الغير على فعل من الأفعال لا يرى فيه الخير بمنطق العقل السليم. أي لا يرى الشخص المكرَه فيه خيراً حتى يفعله، فالله سبحانه وتعالى لم يكره خلقه وهو خالقهم على

٥٠ ـ سورة البقرة:٢٥٦.

الوحدانية، وكان من الممكن أن يقهر الإنسان كما قهر السماوات والأرض، ولا أحد يستطيع أن يعصى أمره لقوله تعالى: {لَّوْ يشاء ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً }[51]، لكن الحق يريد أن يعلم من يأتيه مختاراً وليس مقهوراً، وأن المجيء قهراً يثبت له القدرة، ولا يثبت له المحبوبية، لكن من يذهب له طواعية وهو قادر ألا يذهب فهذا دليل على الحب. فهل الرسل عليهم السلام الذين أرسلهم سبحانه وتعالى كانوا يتطوعون الناس بالإكراه ؟ طبعاً لا، فالله سبحانه وتعالى قد جعل خلقه مختارين، لقوله تعالى:{ وَلَوْ شاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }[52]، فالرسول عليه بالبلاغ؛ لأن الله لم يرد خلقه مكرهين على التدين، إذن فالمبلغ عنه لا يُكره خلقه على التدين، فهناك فرق بين القهر على الدين، والقهر على مطلوب الدين، وهذا هو جوهر الخلاف والاختلاف.وقد أراد خصوم الإسلام أن يصعدوا هذه العملية عندما قالوا أن الإسلام انتشر بحد السيف.وهم يدركون أن الإسلام نشأ ضعيفاً فاضطهد السابقون ونالوا كل ألوان الاضطهاد فعذبوا، وخرجوا من ديارهم بغير حق، وهي فترة المقصودة لتدمير الدعوة في عنفوانها. ويتحدثون عن الجزية رفضاً لها، فنقول: وما الجزية التي يأخذها الإسلام من غير المسلمين كضريبة للدفاع إلا دليل على أن الإسلام لم يُكره أحداً.فإذا نظرنا إلى الروايات التاريخية التي تتحدث عن تاريخ الكنيسة في عصورها الأولى نجد أن الوضع مغايراً تماماً عما هو في الإسلام، فقد حاول البابا يوفليوس الذي كان علي كرسي الإسكندرية في أواخر القرن الرابع يثير حملة اضطهاد ضد الوثنين وحرض المسيحين علي الاستيلاء علي معابدهم وتحويلها الي كنائس عنوة بما فيها من أثار وثنية مما أدى ذلك إلي دخول الوثنين إلي المسيحية خوفاً من اضطهاد الأقباط الأرثوذكس، على الرغم من أنهم فد احتفظوا بالكثير من بعض آثار إلهتهم القديمة مثل التماثيل والصور التي وجدت عند المصريون القدماء كالإيقونات القديمة وصور الاله ايزيس التي تحمل طفلها الإله حورس ومطابقتها مع الإيقونة الأثرية للعذراء مريم وهي تحمل طفلها يسوع، وكذلك صورة الإله حورس وهو يطعن بالحربة هذا بالإضافة إلى بعض الممارسات التي نشاهدها اليوم كخطف رجال الكنيسة للمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وحبسهم داخل الأديرة في الصحاري مما أدي إلى ميلاد نوع جديد من العنف المضاد اتجاه الأديان السماوية.

٥١ - سورة الرعد:٣١.

٥٢ - سورة يونس:٩٩.

ويشير(جميل الطهراوي) إلى أن الاتجاهات المتعصبة تحدث عندما يحدث انحراف من عدة معايير منها العقلانية Rationality ، حيث يتم الانحراف عندما يقوم الشخص بإطلاق حكم متعجل، غير مبني على معلومات موثقة أو يأخذ شكل الشائعة والدعاية،أو يأخذ شكل القوالب النمطية الجاهزة، عندما يتعامل الشخص مع الآخرين وفق تلك القوالب، ويتضمن الانحراف عن معيار العقلانية التعميم المفرط، على فئة من الناس، من خلال رفض تعديل الرأي[٥٣]. ومن المعايير أيضاً معيار العدالة Justice ، وهو معيار أخلاقي يقوم على وجوب المساواة في المعاملة بين الأشخاص في مجالات الاهتمامات العامة وفي الحقوق والواجبات، بحيث تخلو المعاملات من التمييز في اللون أو الجنس أو القبيلة، للمحافظة على الكرامة الإنسانية، الذي يجعلنا أكثر إحساساً بحق الآخرين فبالمشاركة في هذه الحياة. فسمة التصلب (الدجماطيقيةDogmatism)، هو عبارة عن جملة من الأعراض التي تحوي في طياتها الجمود العقلي وثنائية التفكير القطعي، ويشير (روكيتش): فإن الشخص الدوجماطيقي، إما أن يقبل الشيء قبولاً مطلقاً أو يرفضه رفضاً مطلقاً بغض النظر عن محتوى الشيء أو معقوليته[٥٤]. فسمة التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها قد يصل بالإنسان إلى التطرف. وفي السبعينيات من القرن العشرين أكد(ويلسون welsown) أن الدوجماطيقية تكمن وراء الاتجاهات المحافظة، والتي يعرفها بأنها:" مقاومة التغيير والاستكانة إلى الأمن بتفضيل ما هو موروث وتقليدي في المواقف والسلوك، وتشمل قياس الأصولية الدينية، والتشدد في العقوبات، وعدم التسامح إزاء الأقليات، وتتبنى التفسيرات الخرافية للظاهرة العلمية"[٥٥]. كذلك من الاتجاهات المتعصبة الاتجاه السلطوي Authoritarian، وهي سمة تجعل الشخص يمجد القوة ويستخف بمن هو أضعف منه، ويدافع عن الشخصيات الديكتاتورية المتحكمة، وينظر إليها بنوع من الإعجاب والتمجيد. فالسلطة أو الاستبداد مرض نفسي يجمع بين الرغبة في الهيمنة وتقديس السلطة، ويميل الشخص التسلطي إلى تمجيد أصحاب النفوذ والقوة والطبقية، والاستخفاف بالضعفاء وفرض الرأي بصورة مستبدة وفردية.فهناك شخصيات مهيأة

٥٣ - بيومي (١٩٩٢م).ص٣٢.
٥٤ -سليمان (١٩٩٣م).ص٤٥.
٥٥ - الخواجة (٢٠٠٣م).سابق ، ص١٢.

بتركيبتها النفسية لممارسة التعصب والتمييز كسلوك ضد الآخرين ليس لأنها تخدم فكرة أو جماعة أو تحركها مشاعر الخوف على الهوية، ولكنها مضطربة في ذاتها تحب أن تمارس التمييز والتعصب ضد الآخرين، مثل الشخصية العدوانيةPersonal aggressiveness فهي عدوانية ضد الآخرين، والشخصية المضادة Personal countermeasures ، وهي شخصية تخريبية لديها نقمة داخلية على كل ما هو صحيح، وتعمل ضد أهداف المجتمع وتتمنى انتشار الفوضى لأسباب نفسية عقلية ومعرفية،وهي عبارة عن الإطار المعرفي والإدراكات التي يكونها الإنسان عن نفسه ومجتمعه وعن الآخرين كأفراد ومجتمعات وتتحكم هذه الصورة في التعامل مع الآخرين، فإذا كانت هذه الصورة من أساليب التفكير خاطئة هنا يحدث التمييز في المعاملة[٥٦]. هذا بالإضافة إلى الأسباب الانفعالية الأخرى التي يحدث التعصب نتيجة وجود مشاعر الكراهية والحقد والحسد أو نتيجة لتعارض المصالح والأهداف، وهنا يحدث التعصب نتيجة انفعال الخوف فقد تخاف جماعة معينة من جماعة أخرى ترى أنها تهدد مصالحها أو تهدد وجودها فينشأ التعصب المبني على الصراع بين الجماعات. كذلك تحدث التعصب لأسباب واقعية أو ما تسمى بالسلوكية، وهنا يبنى التعصب على صراعات واقعية إما نتيجة التمييز بين الجماعات، أو حرمان بعض الجماعات دون غيرها لممارسة حياتهم الطبيعية.

٥٦- علال،خالد كبير(٢٠٠٠م).التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي.دار الأمل،دمشق،ط١ص٣٢.

أنماط التعصب الديني

❋**التعصب الإرادي**: هي تعصب تأتي عن طريق التحصن من قبول فكر الآخر ويتم رفضه حتى أن كان هنالك منطق أو حجة عقلية، كالتعصب لفكرة أو لمجموعة أو التشبث برأي أو بوجهة نظر يصاحبها انحياز عاطفي, وهي أيضاً، إما تعصب سياسي أو ديني أو غير ذلك,ولقد أفرد الباحثون لقضية التعصب مباحث عديدة , ولكن هذه المباحث تقع غالباً في الدراسات النفسية والسيكولوجية[٥٧]. وما يجدره ذكره هنا أن الجهات السياسية والاجتماعية تنحو نحو وضع هذه الملفات المثقلة بالتعصب وخاصة التعصب الديني في دائرة الملفات الصعبة التي لا يمكن تناولها لحساسية الموضوع أو لخطورتها وذلك ابتغاء صبغ مجتمعاتها بمظاهر حضارية تليق بالعولمة, وأيضا ابتغاء تجنب النعرات التعصبية ومع ذلك فقد فرض التعصب الديني نفسه بقوة أوصلته إلى الذروة وصار اليوم علانية في كل الدوائر الدولية.

❋ **التعصب الفكري**: فالتعصب الديني يتجه في أغلب الأحيان نحو معتقدات نمطية يغلب فيها الفكر المتصلب إلى حد التحجر الذي يصاحبه الانغلاق الذهني الذي يقاوم التغيير بطريقة غير منطقية تأنف منها كل الديانات السماوية, وهذا ما نجده عند البعض ممن يدعّون المعرفة بالدين، وقد يسيطر عليهم أشخاص أو جماعات يملكون القدرة على التلاعب بالنفوس الضعيفة،على الرغم ما لديهم من تراكمات روحية لا يستهان بها إلا أن الجهل يعمهم عن إدراك الحقيقة. ومما سبق أن التعصب الديني يلازم في معناه التطرف الديني... فبعض المسلمين ممن تجاوزوا الحد في الاعتدال والوسطية قد اتجهوا إلى الغلو والتطرف ينظرون إلى الأمور بنظرة سلبية وظلامية"[٥٨]، ومما يميز المتطرف الجاهل بالدين هو إعطاء مفهوم خاطئ للنصوص الشريعية، وتحجير كتاب الله عز وجل، ومحاولة إخضاع الظروف الحالية لأسباب نزول في زمن مضي أو قد تم تجاوزه كلياً، ومحاولة أخذ المجتمع الإسلامي من زمنه الحالي وإخضاعه لزمن فجر الإسلام بحجة الأصالة والرجوع إلى السلف الصالح فتتحول المقولة: القرآن صالح لكل زمان ومكان إلى ما معناه أن القرآن لا يصلح إلا بقياسه على زمنه الأول, وهذا إن دل إنما يدل على أن كثيرا ممن

٥٧- حجازي (٢٠٠٦م). مصدر سابق.ص٥٨.

٥٨- وطفة،علي أسعد(٢٠٠٢م). التعصب وماهية انتشاره في الوطن العربي.المعهد العربي للبحوث، الكويت،ط١ص٢٣.

يحملون لواء الدين يرغبون في إحياء الدين بطريقة مشوهة, خصوصاً وبعض الجماعات منها تتناول كتاب الله بالتفسير والشرح حسب ما يمليه عليها هدفهم الدنيوي, ونتيجة لتلك العوامل برزت إلى الوجود جمعيات وروابط ذات أنشطة تدور حصراً حول الغيبيات وترفض أن تتناول الموضوعات الدينية التي تتعلق بالتنشئة الاجتماعية لأنها لم تكن من ضمن مطلوباتها وبرامجها. وإلى جانب ذلك توجد جماعات دينية تؤرقها قضايا يدافع عنها المنتمون إليها ويضحون من أجلها, وهؤلاء يواجهون معارضة قوية من الحكومات. وما يميز هذه الفئة أنها لا تؤيد إسلام المذاهب الفقهية الأربعة وتدعوا إلى الإحيائية الدينية، وتصحيح المفاهيم الدينية بالاعتماد على التشريعات الدينية الأخرى, مع تغييب المبادرة العلمية التي تعتمد على النقد والتحليل في الأسلوب العلمي للتمييز بين الحق والباطل. فاتجهوا إلى تكفير وتفسيق المخالف لهم ولو اجتهاداً أو تأويلاً، ولم يقف الأمر عند أهل الغلوّ من الخوارج وأتباعهم في كل عصر بالضيق من الاجتهادات والتأويلات المخالفة لهم، بل أضافوا إلى ذلك الضيق الاعتقادات الباطلة في المخالف لهم؛ كاعتقاد فسقه وكفره وخلوده في النار! والأدهى من ذلك استحلال دمه وماله وغير ذلك[٥٩]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:» أول البدع ظهوراً في الإسلام وأظهرها ذمّاً في السُّنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة... **ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم**:

إحداهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة.

الثانية: في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات. ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم[٦٠].

ومخالف الغلاة المعاصرين لا يخرج عن هذه الأسماء والأحكام الخارجية؛ إضافة إلى ممارسة استحلال الدم بوسائل مدمرة وفتاكة للمخالف وغيره. لذلك فإن ظاهرة التطرف والتعصب الدينيين في المجتمعات الإسلاميين خلقته أسباب موضوعية له بها علاقة تلازمية تظهر بوجود هذه الأسباب وتختفي مع اختفائها.

ومن هنا فإن مفهوم التعصُّب قد يأخذ أشكالاً متعددة تؤثر في تماسك المجتمع، حيث قد تكون على صورة اتجاهات أو قيم أو أنواع من الثقافات والنشاطات لدى مجموعات من المجتمعات"، مُضيفةً أنَّ العديد من المفكرين أعربوا عن قلقهم المتزايد

٥٩ ـ المصري،محمد عبدالهادي(بدون تاريخ) معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادي المصري (ص١١٥).

٦٠ ٢ـ مجموع الفتاوى (٧١/١٩)، وانظر: (٦٩/٣٥ – ٧٠) من المصدر نفسه.

إزاء ظاهرة التعصب والتميز الديني، مُوضحةً أنَّ العديد من المفكرين يرون أنَّ جوهر إشكاليات ذلك يكمُن في نوعية العلاقات التي تربط بين الأجناس والفئات الاجتماعية، مُشيرةً إلى أنَّ مفهوم التعصب من المفاهيم المركبة التي تزخر بها أدبيات العلوم الإنسانية، لافتةً إلى أنَّه يتبنى الأفكار السلبية عن الآخرين دون أن تتوفر دلائل كافية لتبرير ذلك.

❋ **التعصب الانعزالي**: أوضحت بعض الدراسات السيكولوجية أنَّ العديد من النظريات أثبتت أنَّ معظم المتعصبون الانعزاليون يكتسبون الاتجاهات الايجابية والسلبية من خلال الممارسات الاجتماعية، وذلك حين يكتسبون اتجاهات أو آراء مُعينة عن جماعات أو أفراد آخرين، أو من توجيهات من أناس آخرين مؤثرين في حياتهم العامة.

لذلك فأنَّ تباعد الناس عن بعضهم وجهل كل طرف بالطرف الآخر يهيئ الفرصة لعدم فهم سلوك الآخرين بصورة ايجابية، مُضيفةً أنَّ عدم التواصل الايجابي يُساهم بشكلٍ كبير في تكوين اتجاهات سلبية نحو الآخرين، لأنَّ من أسباب تعصُّبهم هو غياب أسلوب الحوار الإيجابي داخل المجتمع الواحد، فتنشأ الشعور بالكراهية المجرَّدة دون التفكير في ما قد ترسمه المجتمع من اتجاهات نحو الآخر، من خلال ما تصبه في القوالب العقلية لهم من إرشادات وإيماءات وتحذيرات حول مواقف معينة أو جماعات أو اتجاهات أو قيم بعينها، إلى جانب الأنانية العقلية والنفسية، هذا بالإضافة للعوامل الثقافية التي تغذي التعصب في كثير من الأحيان.

ويرى بعض المفكرين أن غياب التربية الأسرية في الدول العربية تُغذِّي قيم ''التعصُّب'' في نفوس الأبناء، حيث تعمل على غرس جذورها في أجواء الأسرة والمجتمع، وبالتالي فإنَّ الطفل يتنفسها في حياته اليومية، مُضيفةً أنَّ ''المتعصِّب'' ليس لديه القُدرة على رؤية الواقع بصورته الحقيقية؛ لكونه لا يرى إلاَّ ما يميل إليه ويكون ظاهراً أمام ناظريه، وبالتالي فلن تكون لديه رؤية صادقة عند إصدار الأحكام على الآخرين، مُوضحين أنَّ المتعصبين الدينيين يعملون على زرع الخلاف بين أفراد المجتمع للقضاء على تناغم النسيج الاجتماعي، وتقليل فرص الاتصال والتواصل ، وتغيير الحقائق بوضعها في صورة تُنافي صورتها الحقيقية، إضافةً إلى تزييف المواقف من خلال عدم القدرة على إصدار القرارات السليمة في حق الآخرين، وحرمان المجتمع وأفراده من التقدُّم والرُّقي؛ نتيجة انحياز الشخص لآرائه وأفكاره، دون أن يأخذ بآراء وأفكار الآخرين.

مآلات التعصب الديني

من أهم الأسباب التي تؤدي إلى التعصب:

❋ ادعاء الحق المطلق:أي أن كل فئة أو متبعي مذهب أو دين يدّعون أنهم يملكون الحق المطلق في مصايرة الناس, ولا يدركون أن الحق واحد لكن له أوجه متعددة, الأمر الذي يؤدي إلى رفض سنة الخلاف والاختلاف، والنزوع إلى الإقصاء بالعنف.

❋ الانحراف عن معايير العدالة والعقلانية:إن أغلب معتنقي الأديان السماوية يؤمنون بوجود الله عز وجل بشكل مغاير لمفهوم العقل, فالمسيحي واليهودي يؤمن أن هناك تعددية في الآلهة على الرغم من منافاة ذلك لقواعد العقل السليم, أما إذا نظرنا للفرق الإسلامية نجد أن الغالبية العظمى منها لا يؤمنون بقواعد الخلاف والاختلاف كل يظهر أنه على الحق في دينه أو مذهبه فيبقى المتعصب مصراً على رأيه ولا يزن الآراء بميزان العدالة والعقلانية.

❋ غلبة مفهوم التعصب على مفهوم المواطنة: إن المفهومين قد يظهرا في المجتمعات المتخلفة حيث يصبح كل فئة في المجتمع تدافع عن حقوق طائفتها أو دينها بغض النظر عن اشتراكهم في الكرامة الإنسانية, فترى ظهور الحكومات ذات التقسيمات الطائفية, فتقسم عدد المقاعد في البرلمان تقسيما طائفياً، وكذلك الحقائب الوزارية غير أنه من الأجدر أن يتم التقسيم على أساس الكفاءة العلمية والمعرفية, وكذا الحال في كثير من البلدان العربية والإسلامية.

❋ الجهل بالدين وأصوله وقواعده ومقاصده: إن النظرة السطحية للدين من أكبر أسباب التعصب والتطرف, فترى المتمسك بالدين بشكل سطحي يبتعد عن روح الدين ومقاصده التي جعلها الله هدفاً لوجود الإنسانية. فترى الجاهل يتمسك بأمور لم يأمر بها الدين ظاناً أنها من الدين.فعلماء المسلمين منذ عصر التّدوين إلى اليوم يختارون ما يريدون إبلا غ العامة به فقط ويتركون أجزاء كثيرة من التُراثِ في بطون أمهات الكتب بعيدة عن وجدان عامة المسلمين. وقد تسببت الاختيارية المنحازة في تكوين صور الغُلْو والمبالغة في احترام الرموز المؤسِسَة للفكر الإسلامي على حساب الموضُوعيّة الوسطية.فعدم الالتزام الصحيح والكامل بالعقيدة الصحيحة على مستوى المشاعر والأفكار والسلوكيات؛ قد يؤدي إلى الإخلال بالعدالة والمساواة ، والتوازن والاعتدال ، وبالتالي يحل التطرف والغلو

والتعصب محل التسامح والتعايش.

❋ مقاومة التغيير والاستكانة: إن مقاومة التغيير والاستكانة إلى ما هو موروث وتقليدي في المواقف والسلوك يولد نوعاً من التشدد والغلظة، وعدم التسامح إزاء الأقليات الدينية، لذلك تتبنى التفسيرات الخرافية للظاهرة العلمية.

❋ عدم الاعتراف الآخر: إن عدم الاعتراف بالآخر من البلايا التي ابتلي بها أصحاب الأديان السماوية في القرون الأخيرة, لأن التصورات التآمرية جعلت الأشخاص يميلون نحو العداوة، بدون النظر على أنهم بشر يمكن أن تختلف أفكارهم ونظرتهم من حيث العقائد والعادات والتقاليد.فهنالك أشخاص متعصبين لآرائهم أينما وضعتهم بنيتهم الفكرية، فلو كان مسلماً كان مسلماً متعصباً ولو كان مسيحيا كان مسيحياً متعصباً، ولو كان سنياً كان سنياً متعصباً ولو كان شيعياً كان شيعياً متعصباً، وهكذا.

❋ البساطة المخلة: إن عدم مراعاة التعقيد والتشابك والتداخل الذي توجد عليه القضايا المعروضة يؤدي بالضرورة إلى إلغاء الاختلاف والاجتهاد، بل كثيراً ما تعطل فعالية العقل، لأن الأمر في منطق الغلاة بسيط له أجوبته الحاسمة والجاهزة[٦١]. هذا بالإضافة إلى عدم التفرقة بين النص الإلهي وأقوال العلماء, فيعتبر أقوال العلماء ديناً غير قابل للخطأ أو المناقشة, فتراه يدافع عن أقوال العلماء مثلما يدافع عن النص الإلهي, وهذا يؤدي إلى التعصب والتطرف.

❋ العوامل النفسية والاجتماعية: تلعب العوامل النفسية والاجتماعية دوراً كبيراً، فإذا حاولنا استقراء أسباب هذه الظاهرة لدى شعوب عالمنا العربي اليوم نجد أن جميع هذه العوامل تكمن وراء ما تحمله نفوس الكثيرين من تعصب مصحوب بغضب وعدوانية.

❋ العوامل السياسية والاقتصادية: حيث تزايد التعصب الديني في عالمنا العربي، كرد فعل على الأصولية المتمثلة بالنزعة الاستعمارية، وعلى التنمر الصهيوني والانحياز الغربي له، وعلى الفساد الاقتصادي الذي رافقه ابتزاز صندوق النقد الدولي، الأمر الذي أدى إلى أشكال جديدة من التعصب ظهر بعد الثورات العربية وما أعقبها من تمزق وفوضى وتدمير لبنى الدول، حيث توفرت البيئة الخصبة لبروزها واستفحالها،

---

٦١ - الإدريسي،أبوزيد المقري (١٩٩٨م).الغلو في الدين.الدار العالمية للطباعة،دمشق،ط١ص٤٤.

فانعكست نتائجها على سلوك عدد غير قليل من أبناء عالمنا العربي والإسلامي، تبدى في رفضهم قبول الآخر والتواصل والتقارب والحوار معه، واعتبارهم المختلف عنهم في الدين أو الفكر أو الطائفة أو المذهب عدوا ينبغي إلغاؤه. وبالمقابل خلق المتعصبون لأنفسهم عالماً منفصلاً عن الواقع، ومن طبيعتهم حب السيطرة والاستيلاء على السلطة، لدلك نجح البعض في الانفلات وتأسيس جماعات لا تكتف بإعلان غضبها ومعارضتها للأنظمة الحاكمة بل تعادي كل من لا يتبنى إيديولوجيتها، وتعادي شعوب العالم برمتها، وتمعن في طغيانها فلا تلتزم بأي قيمة إنسانية، وتمضي في مسيرتها تقتل الأبرياء وتدمر المدن وتهلك الحرث والنسل غايتها السيطرة المغلفة بستار الدين.

❋ غياب النظرة العلاجية لظاهرة التعصب الديني: لقد تم استغلال هذا السبب محلياً ودوليا أبشع استغلال، مما خلق ظهور منظمات إرهابية كالقاعدة وطالبان في أفغانستان، والدولة الإسلامية في بلاد الشام، وحركة بوكوحرامفي نيجيريا، أنصار بيت المقدس داعش وجماعة النصرة في سوريا والعراق ومصر وشمال أفريقيا ... وغيرها)، حيث تسعى كل حركة لتوظيف جهودها في نشر أيديولوجيتها الدينية في الإطار السياسي، كما تم توظيف بعض الأفكار اليهودية والمسيحية في مشروع دولة إسرائيل الكبرى, لضرب الحركات الإسلامية في ظل غياب الحكومات العربية والإسلامية، مما ساعد في بروز مصطلحات كالتطرف والإرهاب... وغيرها. فأطلقها الغربيون للنيل من سمعة العرب والمسلمين، فهي حالة مرضية تنمو بارتفاع معدلات الجريمة بل أحياناً يكتفون بوصفهم بالخارجين عن القانون.

وخلاصة القول، أن الأسباب الاجتماعية كثيراً ما تتعلق بالصراع حول القضايا الاقتصادية أو الدينية، وينتج ذلك عن انعكاسات سلبية تظهر في المجتمع، أهمها الانعكاسات على الوطنية وتهديد التماسك الاجتماعي، وتهميش المنتجين وذوي الكفاءات العلمية والعملية والتركيز على الانتماءات مما ينعكس على ضعف التنمية المجتمعية في شتى مجالاتها، وتصاعد المصالح الفئوية وتقديم مصلحة الجماعة الصغيرة أو الفئة على مصلحة الوطن، وغياب سمة التسامح والتعاون في المجتمع وارتفاع حدة الصراعات وغياب آليات التفكير الناقد والتفكير الموضوعي القائم على الأدلة والشواهد، وارتفاع مستوى المعلومات والشائعات المزيفة، فضلاً عن غياب التفكير العلمي المنهجي.

كما نرى بأننا يمكن أن نعالج التعصب الديني من خلال الفهم السليم للتعاليم الدينية، وعدم ربط الأفعال العدوانية للمتعصبين بالدين، ونشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي، وتقبل الحوار بين الثقافات والأديان، والاعتراف بالخطأ وتقبل النقد من الآخرين، ومقاومة تدفق المعلومات المضللة عبر الوسائط الإعلامية المختلفة، والتعاون مع الآخرين والاستفادة مما عندهم من معارف وخبرات، هذا إضافة إلى ضرورة تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة، ونشر ثقافة التفكير الناقد المبني على الموضوعية والأدلة والشواهد المنطقية. فالسؤال الذي يطرح نفسه، هل يمكن منع أو علاج التعصب أو منع هذه الظاهرة؟ هذا الأمر يتطلب أولا بذل جهود سياسية على المستوى الدولي والعربي والمحلي لإخماد نار الفتن التي مزقت الشعوب العربية والإسلامية، وأثارت نزعة التعصب الذي أعمى أبصار الكثير منهم عن رؤية عدوهم الحقيقي ومعرفة غاياته، أما على المستوى المحلي فالأمر يتطلب تضافر جهود الكثيرين ابتداء من الأسرة ثم المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والإعلامية وغيرها من المؤسسات التي تساهم في صناعة شخصية المواطن، ونظرا لانتشار هذه الظاهرة في وطننا وخشية عليه من نتائجها الوخيمة، نرى أنه يتعين وضع خطة عمل تقوم على ركائز سياسية واجتماعية واقتصادية تتضمن تحديد إجراءات قابلة للتنفيذ على أرض الواقع بغية تحقيق الهدف الأساسي وهو الحد من هذه الظاهرة ومعالجة المشكلات المؤدية لها، ويتعين أن يشارك في وضع الخطة؛ سياسيون ومتخصصون بعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي وفي الفلسفة وفي علوم التربية والاقتصاد والقانون وكل من يمكنه المساهمة في تحقيق هذا الهدف.

موقف اليهودية والمسيحية من التطرف الديني

يذكر الكتاب المقدس الفريسيين والصدوقيين مرات عديدة حيث كان الرب يسوع في خلاف دائم معهم،لأنهم يشكلون الطبقة الحاكمة من شعب إسرائيل،بل أنهم يتشابهون في أفكارهم ومعتقداتهم على الرغم من بعض الخلافات الطفيفة بينهما. فالصدوقيون هم الأرستقراطيون الذين عاشوا في الأيام الأولى من حياة المسيح عليه السلام. وكانوا في الغالب من الأغنياء الذين يشغلون المناصب السيادية كالكاهن الأعظم، ورؤساء الكهنة، وكانوا يشغلون أغلبية المقاعد أل ٧٠ للمجلس الحاكم والذي يدعى(السنهدريم). أيضاً كانوا يعملون باجتهاد للمحافظة على السلام عن طريق الموافقة على قرارات روما، ومع توالي الأيام أصبحوا يهتمون بالسياسة أكثر من اهتمامهم بالدين على الرغم من أنهم كانوا متوافقين مع الرومان، ولم يكن الشعب على التواصل مهم. ورغم أن الصدوقيين كانوا يشغلون أغلب مقاعد(السنهدريم)، إلا أن الروايات الكنسية يشير أنهم في أغلب الأحيان يطلبون موافقة الفريسيين بسبب حب الجماهير لهم. ومن الناحية الدينية، كان الصدوقيين أكثر محافظة في العقيدة من الفريسيين الذين كانوا كثيراً ما يعطون التقاليد الشفهية التي تتحدث عن سلطة كلمة الله المكتوبة، بينما الصدوقيين كانوا يعتبرون الكلمة المكتوبة فقط هي كلمة الله. ولقد حفظ الصدوقيين سلطان كلمة الله المكتوبة التي وردت في أسفار موسى عليه والسلام بدءا من التكوين حتى التثنية[٦٢]. ومن ظواهر التعصب في الأناجيل فقد استخدم مؤلف العهد الجديد التعميد مع طوائف اليهود ليقسم المجتمع اليهودي إلى قسمين: القسم الأول:قام يوحنا بتعميدهم وهم يهود أورشليم ومناطق الأردن ليضعهم في موضع المقدسين، ورتب المؤلف الحدث على النحو التالي:» وجاء يوحنا إلى برية اليهود وهو يكرز ... أي يأكل الجراد المحمص بعد غليه بالماء ونشره تحت أشعة الشمس ...»وقال لليهود:» .. توبوا.. أي حطوا خطأيكم لأنه اقترب ملكوت السماوات»ومن خلال ما ذكر فإن يوحنا يبشر اليهود بظهور اليسوع،وربط يوحنا التبشير باشيعاء النبي القائل بصارخة في البرية اعدوا طريق الرب، واصنعوا سبله مستقيمة»[٦٣]. فالاستقطاب السياسي المسيحي للطائفة اليهودية تشكل نوع من التطرف

٦٢ - الإدريسي (١٩٩٣م).مصدر سابق.ص٣٣.
٦٣ - إنجيل يوحنا:٢٣/١٢.

الديني، لأنه عندما جاءوا إلى أورشليم جمعوا زعماء اليهود وإتباعهم من حول مناطق الأردن ليعتمدوا في الأردن للتخلص من خطاياهم..وهذا يعني إن الطائفة اليهودية آمنت بيسوع المسيح. وقد ذكر بعض الروايات الكنسية أن في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا:» توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات، فان هذا هو الذي قيل عنه باشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب»[٦٤]. فالتطرف المسيحي واضح عندما نقرأ بقية الإصحاح نرى كيف تمكن المبشر يوحنا على تغيير المعتقد اليهودي إلى المعتقد اليسوعي تحت الاضطهاد.

فالتعميد هو معتقد وثني منسوب إلى لله حسب الروايات المسيحية أقرته الديانة الكنيسة للتكفير عن الخطايا سنوياً في شكل أشياء مقدسة مثل الماء أو الزيت أو بعض الأطعمة.... وقد شرُّع التعميد لإبعاد سياسية ودينية لمزاولة المعصية في ظل الدين السياسي والاستمرار عليها دون يقيد أو شرط.. يلجا أليه أصحاب النفوس الضعيفة لتلبية رغباتهم الازدواجية التي تجمع بين الدين والدنيا على اعتقد هنالك قربة إلى الله يحمل الخطيئة عنهم أو يزيلها عند ممارسة الأشياء المقدسة،وأصل التعميد مقتبس من واقعة حين ما استذلهما الشيطان وخرجا من الجنة، فاتخذوا من ذلك سبيلاً للتقرب إلى الله ببعض أوراق الجنة لإزالة الخطيئة عنهما،فبعدما عصيا ادم وزوجته ربهما أخذا يطفقان من ورق الجنة... أي يضعانه على جسديهما على اعتقاد إن هذه الأوراق مقدسة لعلها تحط عنهما خطيئتهما ... ولكن الله سبحانه وتعالى رفض التعميد كأسلوب من أساليب التوبة. وجعل التوبة هي الإقلاع عن المعاصي لأنه تعالى لا يقبل توبة عن الذين يعملون السيئات، لقوله تعالى:{وَلَيْسَتِ التَّوْبَة لِلَّذِين يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إذا حضر أَحَدَهُم الْمَوْت قَالَ إِنِّي تبْتُ الآن وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُون وَهُم كفارا أولئك أَعْتَدْنَا لَهُم عَذَاباً أَلِيماً }[٦٥]، وقال تعالى:{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[٦٦]. وقد استخدم يوحنا التعميد لأهداف قومية وتطرفية أجبرت اليهود على مزاولته تحت الاضطهاد الديني الطائفي ... إشارة

٦٤ ـ سفر أشعياء:٢٣/١٢.

٦٥ ـ سورة النساء:١٨.

٦٦ ـ سورة الأعراف:٢٢.

منه إلى إن هناك إمكان مقدسة يجب التوجه إليها دينياً وقومياً ولا يمكن التخلي عنها لأنها منبع التقديس. ويرى بعض مؤرخي الأديان إن تاريخ الصراع الديني بين الديانتين بدأ من القرن الثالث الميلادي عندما رأى مؤلف العهد الجديد(يوحنا) أن هنالك هيمنة دينية يهودية توراتية في الكتاب المقدس على الحضارات القديمة ومدن فلسطين والأردن وغيرها. والشاهد على ذلك ذكر يوحنا المعمدان أحد الشخصيات السلفية المسيحية أن طوائف من اليهود الذين كانوا يقيمون في أورشليم والمناطق المحيطة بالأردن لم تقم لهم إية دعوة دينية خاصة بهم حسب ما جاء في الإنجيل، كما لم يذكر أية دعوة عن زكريا أو يحيى عليهما السلام في شعب اليهود[٦٧]. وعلى الرغم من ذلك اكتشف بعض الباحثين الهولنديين أن(مارتين كامبوس) الهولندي الأصل الذي كان يتنقل بين ألمانيا والدول الأوروبية، كان أكثر المتشددين للدعوة إلى الديانة المسيحية، وإلى بذل كل القوة من أجل الحفاظ عليها، وهو رجل الدين الذي يحذر المسيحيين من التهاون في عقيدتهم أو تركها حتى لا تغزوها العقائد الأخرى، وهو من أشهر المبشرين الذين عملوا في ميادين العمل ألتنصيري والتبشيري، وقد كان مارتين من الذين يحملون صفة التطرف.فلا يمكن إنكار وجود متطرفين مسيحيين، كما لا يمكن أيضاً وصف الدين الإسلامي بالتطرف، فالباحث في أصول الدين المسيحي والدين الإسلامي يجد تشابهاً كبيراً في نصوص التسامح والعفو، والمحبة بين الناس، ونشر العطف والرحمة، وهي كلها مبادئ إنسانية لا يمكن تجاهلها في كلتا العقيدتين. ولكن من المؤسف أن هناك كثيراً ممن يخطئون في فهم لفظة(تأصيل المعرفة) ويفسرونها على أنها التطرف أو التشدد، كما أن الأصولية في الواقع هي إرجاع العقيدة إلى أصلها وأصل العقيدة الإسلامية والمسيحية هي الدعوة إلى وحدانية الله،فالذي يحدث من تطرف بعض المسيحيين أو المسلمين على حد سواء إنما بسبب خطأ في فهم العقيدة الصحيحة، وهذا الخطأ يرجع إلى عدة أسباب تتمثل في:

❋ محدودية الثقافة الدينية، وعدم القراءة المتعمقة في أصول وجوهر العقيدة.

❋ تفسير العقيدة وفق المصالح الفردية أو الجماعية.

❋ غياب دور رجال الدين في التوعية بالعقيدة الصحيحة، والاكتفاء بتلقين النصوص الدينية دون التعمق أو الذهاب إلى شرح ما وراء النصوص من مفاهيم إنسانية.

٦٧ - إنجيل متى:١٢/٣.

❋ النظرة الضيقة للتنشئة الاجتماعية، وغياب الطموحات المستقبلية، وهو ما يدفع بالأشخاص إلى التمسك بالعقائد المتطرفة كملاذ لإنقاذهم لما يعانونه من فقدان الطموحات أو الرؤى الإيجابية للمستقبل.

❋ الاستغلال السيئ لمفهوم الشورى والديمقراطية والحرية لتنفيذ مآرب التطرف والعصبية أو الإرهاب عبر استغلال الشباب الذي يعاني ضعفاً في الثقافة الدينية.

فهذه الأسباب مجتمعة تؤدي إلى التطرف الديني، فهنالك في الأوساط المسيحية من يحاول استمالة الشباب المسيحي إلى محاربة العقائد الأخرى أو محاولة اختراقها، أو يهون من قدرها، وما نراه اليوم من كثرة الحوادث التي تقع داخل المجتمعات المسيحية غير دليل على تناغم الظاهرة حتى في داخل الكنائس، فعلى القائمين على أمر هذه الكنائس ان يسعوا لاحتواء المواقف، وحلها بالطرق الودية وبالتفاهم حرصاً على سمعة الديانة المسيحية، وبموجب تلك الافتراضات نجد أن المتطرفين في الديانة اليهودية أكثر بكثير من أصحاب الملل فهم يتناومون في السنوات الأخيرة بقوة ضاربة مقارنة مع أعداد المتطرفين في الديانات السماوية الأخرى.فكثيراً مايستغل الدين والمصطلحات الدينية لتبرير الأعمال الظالمة باسم الدين وإضفاء الشرعية عليها، مثل:" المسيحيون والمسلمون الذين يعيشون في المجتمع". الغرض الظاهر منها إضفاء روح المحبة والأخوة والرغبة الصادقة في العمل من أجل رفع مستوى الانسجام والتفاهم في المجتمعات الإنسانية بين أتباع الديانات، أما الهدف المبطن هو الاستغلال والهيمنة والاستلاب.

موقف الإسلام من ظاهرة التطرف

بدأ النبي محمد صلى الله عليه وسلم دعوته في المدينة المنورة فآخى بين الأنصار والمهاجرين وسعى إلى بناء علاقات دولية بين دولته وبقية الدول المجاورة بفضل الدبلوماسية الإسلامية التي أكدت على الملأ أن رسالة الدعوة إلى الإسلام هي دعوة عالمية، ففي غزوة أُحُد عندما انسحب عنه ثلث جيش المدينة أدرك صلى الله عليه وسلم أن الذين انسحبوا هم من المنافقين.. وعلى الرغم من كثرة المنافقين وتعدد جرائمهم ومخازيهم، لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه أراق دم أحد منهم ومازال يستأنس بهم و يتعاهدهم بالحلم والتعليم والتأديب حتى سلمت له المدينة، فجاء قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنت لَهُم وَلَو كُنت فَظّا غَلِيظَ الْقَلْب لاَنفَضُّوا مِن حَوْلِك}[٦٨]. وبعد أن استقر به المقام أراد صلى الله عليه وسلم أن يبني جذور التفاهم والتعاون والانفتاح مع ملوك وأمراء العالم فكانت النجاشي في الحبشة،فرغم أنه لم يُصلّ ولم يصم ولم يهاجر إلى رسول الله، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد قال فيه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[٦٩]. ويوم موته صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وداً وتراحماً مع نصارى نجران ومع مقوقس مصر على قبطيته .لذلك فإن عقدة احتواء الناس بالقوة وقضم أفكارهم وآرائهم بالجبر لم تكن سمة من سمات الإسلام في شئ، ولم يستخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في مناهجه التربوية والتعليمية، وقد عاش ومات وهو مكلل بشرف قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[٧٠]. فإذا نظرنا جميعاً رعاة ورعية إلى تربية القرآن والسنّة ومنهاجهما السماوي لإعداد أجيال الدعاة، فيكشف لنا عما فيهما من محبة وخير وتسامح ونور، وإخاءٍ ورحمةٍ. إن العالم اليوم أكثر حاجة في تقبل رسالة الحق، وعلى الرغم من سقوط الأيديولوجيات الإلحادية في العالم الإسلامي إلا أن الإنسان اليوم لم يشعر بالحرية والأمن والطمأنينة، فأخذ يبحث عن ذاته في ركام العقائد الفاسدة التي تدعو إلى التطرف والنزوع إلى الفوضى الخلاقة، كما

٦٨ - سورة آل عمران:١٥٩.

٦٩ - سورة الأنفال:٧٢.

٧٠ - سورة الأنبياء:١٠٧.

أيقن أن رموز الإلحاد السالفة لازالت متمترسة عند بعض المجموعات، وأن كلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول يطلقه من ومن لا يعرف ويستخدم في إرهاب الإنسان الذي كرمه الله وفضله عن سائر المخلوقات، فالله تعالى كفيل بزهق الباطل مادام هنالك أمة يذكرون الله قياماً وقعوداً، قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[٧١]. وعلى الرغم من ربط التطرف بالإسلام لدى الغربيين إلا أن الإسلام قد حذر أكثر من غيره من الأديان السماوية من أخطار هذه الظاهرة وانعكاساتها السلبية على المجتمع، فالقراءة الواعية للنصوص الشرعية الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية, توضح مدى إدراك الإسلام لخطورة ظاهرة التطرف والتعصب الديني بل إن الإسلام أنكر على أتباع بعض الديانات مظاهر التطرف والتشدد في السلوك والعبادة, لقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم:»إياكم والتعمق في الدين»، فالقول بالنهي دليل على خطورة الظاهرة فالمراد بالتعمق أي في فهم الدين أو التشدد في تطبيقه قال ابن منظور في لسانه:»المتعمق المبالغ في الأمر أو الذي يطلب أقصى غايته» وقد ذكره ابن الأثير في النهاية:» إن المتتبع لموارد استعمال كلمة «التعمق» في الأحاديث والنصوص الإسلامية لا يخالجه أدنى شك أن المراد به ليس التعمق في فهم الدين وبذل الجهد لأجل اكتشاف أبعاده ومقاصده فإن هذا المعنى لا يمكن أن يكون مذموماً في الشريعة الإسلامية كيف وقد حث القرآن عليه ورغب فيه من خلال مدحه للراسخين في العلم, ودعوته للتفقه في الدين والتدبر في آيات القرآن الكريم وإنما المقصود بالتعمق المنهي عنه كالمبالغة والتشدد في الأخذ بتعاليم الإسلام وحدوده وأحكامه وسننه، وبما يخرج المرء عن جادة الاعتدال ويوقعه في الإفراط والتفريط»[٧٢]، وهذا المعنى هو ما يشهد به سياق الحديث السابق فإن الرسول صلى الله عليه وسلم علَّل نهيه عن التعمق في الدين فقال:» فإن الله تعالى جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون فإن الله يحب مادام من عمل صالح وإن كان يسيراً»[٧٣]. فالتعمق والتشدد في أحكام الإسلام يقود إلى التطرف الديني الذي يعتبر من أخطر الظواهر السالبة اليوم, لأنه يرتبط عادة بالانغلاق والتعصب للرأي ورفض الآخر وكراهيته وازدرائه، وتسفيه آرائه وأفكاره. والمتطرف فرداً

٧١ - سورة فصلت:٥٣.

٧٢ - ابن الأثير(١٩٨٦م). الكامل في التاريخ.دار الكتب العلمية،بيروت،ط١ج١ص٣٤٥.

٧٣ - ابن هشام (بدون تاريخ). السيرة النبوية.دار الملايين للطباعة،بيروت،ط٢ص٢٣٩.

كان أم جماعة ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية فلا يؤمن بتعدد الآراء والأفكار ووجهات النظر بل يرفض الحوار التعايش مع الآخرين ولا يبدي استعداداً لتغيير قناعاته وقد يصل به الأمر إلى خيانة الآخرين وتكفيرهم دينياً أو سياسياً وربما إباحة دمهم. ويزداد خطره حين ينتقل العملية من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري إلى طور الممارسة العميلة سواء في القيم والسلوك، والذي من خلاله يعبر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل وتفجيرات وتصفيات جسدية وغيرها، أو استخدام وسائل تدعو إلى العنف الروحي والمادي. وعادة ما يكون التطرف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاسات سابقة سواء في الفكر والقناعات والاعتقاد[٧٤]. وقد استعمل بعض علماء المسلمين مصطلح التطرف كدلالة على الوقوف في طرف الشيء والخروج من الوسط والاعتدال فيه وهو يشمل الذهاب إلى طرف التشديد وإلى طرف التسهيل فالغالي في الدين متطرف والجافي عنه متطرف. وقال الجصاص:»طرف الشيء إما ابتداءه أو نهايته، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفا «. لكن المشهور استعماله في التشدد والتعمق وهو المقصود في خطاب المتكلمين فيكون مرادفاً للغلو ومفهومه في الشرع مجاوزة المسلم الحد الشرعي في كل شيء كما قال الإمام أحمد لأبنه :» لا تغلو في كل شيء حتى الحب والبغض«[٧٥]. وقال ابن تيمية:» إياكم والغلو في الدين«[٧٦] للدلالة على جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق، فالنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال، وقال ابن حجر:» وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلواً وغلا السعر يغلو غلاء إذ جاوز العادة والسهم يغلو غلواً بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى«[٧٧]. فالتشدد في تطبيق الدين والمبالغة في العبادة صفة عرف بها بعض الفرق الإسلامية المتشددة، وكل الجماعات المتطرفة الظاهرية. وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في قوله:»يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليست قراءتكم بشئ ولا

٧٤ - التل (٢٠٠٢م).مصدر سابق.ص١٢١.

٧٥ - أحمد، الإمام (بدون تاريخ).مسند الإمام أحمد.

٧٦ - ابن تيمية(١٤١٤هـ).درء تعارض العقل والنقل.تحقيق محمد رشاد سالم.دار الكنوز الأدبية،الرياض،ط٢ج٢ص١٦٦.

٧٧ - ابن حجر،الحافظ أحمد بن علي العسقلاني(١٤٠٧هـ).فتح الباري في شرح صحيح البخاري.دار البيان للتراث،القاهرة،ط١ج٢:حديث رقم:

صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء»[٧٨]. وقد أطلق الإسلام على المتطرفين أوصافاً فمنهم من وصفهم ب»المتنطعين» و»المغالين» لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:»هلك المتنطعون»، أي المتطرفون المتشددون. فإذا نظرنا لحال الأمة الإسلامية اليوم نجد أن التطرف الديني قد يسجل رقماً قياسياً في كل الأصعدة، وإن تطرفاً يسارياً قد ساد المنطقة العربية والإسلامية وغالباً ما كان أصحاب التوجهات الدينية ويقعون ضحية ذلك التطرف اليساري والقومي خاصة حين وصل اليساريون والقوميون إلى السلطة فتعرضت الجماعات الدينية للقمع ومصادرة الحريات والاعتقال مما دفعهم في بعض الأحيان إلى التصفية والإعدام بحجة باسم الجهاد. فالمسألة إذن ليست حكراً على تطرف ديني فكلما كان هنالك تكفيراً دينياً كلما استغل الدين سياسياً وعلمانياً. وبالتالي تتهم الجماعات ذات التوجه الإسلامي بأنها متطرفة ترفض الاعتراف بالآخرين،والمحاورة لمن يخالفها في الرأي, فتتجه الحكومات إلى تصنيفهم على أنهم خارجون عن الصف الوطني,وتمارس بحقهم سياسة القمع والاستئصال. وفي هذا يؤكد الجابري:» أن في جميع الأيديولوجيات هناك دوماً موقع ما للتطرف والغلوّ « ومضيفاً:» سبق لي أن قلت: إنه لو كان الزمان زمان الماركسية لكان كثير من الشباب الذين يستقطبهم اليوم التطرف الديني أو الإثني يعملون في صفوف التطرف الماركسي»[٧٩]. لكن اليوم وللأسف بات التطرف الإسلامي تهدد المجتمعات الإنسانية في كل مكان، وتمارس الإرهاب بشكل سافر.

فإذا نظرنا إلى خارطة التطرف الديني نجد أن منذ أوائل السبعينات ظهرت بعض من المنظمات الدينية المتطرفة التي أخذت في الانتشار والازدياد مما جعل منها خطراً يهدد الأنظمة الحاكمة والاستقرار الدولي. وقد اتبعت هذه التنظيمات منهج السرية المطلقة في حركتها وأصبح العنف هو العنصر الأساسي لتحقيق فكرها وتأمين وجودها الأمر الذي أدى إلى زيادة خطورة هذه التنظيمات، ومن الصعوبة تتبع حركتها ومواجهتها والحد من مخططاتها الإرهابية. وعلى الرغم من حداثة مصطلح العنف والتطرف إلا أن التاريخ الإسلامي قد عرف التيارات الدينية المتطرفة فقد اغتيل ثلاثة من الخلفاء الراشدين(عمر وعلى وعثمان) في صدر الدولة الإسلامية، وباتساع الدولة الإسلامية وإقبال المسلمين على حياة التصوف ظهر نوع آخر من التطرف، كما نشأت طوائف أخرى أخذت

٧٨ - ابن حجر(١٤٠٧هـ).المصدر نفسه. حديث رقم:**٢٥٦٠** حديث مرفوع

٧٩ - الجابري،محمد عابد(بدون تاريخ).التطرف يميناً والتطرف يساراً.دار الأمل، دمشق،ط١ص١١٢.

ثقافة العنف والقتال وسيلة لتطهير الدولة الإسلامية مما تعمق من فكرة التطرف. فالمتتبع للفرق الإسلامية يلاحظ أنها مشتركة في الفكر والهدف إلا أن اختلاف أسلوب التطبيق قد تعمقت من ظاهرة الإرهاب خاصة في منطقة الشرق الأوسط ومن هنا بدأت موجة الإرهاب الديني والطائفي في الانتشار في بعض الدول العربية والإسلامية أملا في الصعود إلى مقاليد الحكم.

ويرى بعض الدارسين أن ظاهرة التطرف تنشأ في العادة نتيجة لأربعة عوامل رئيسية: وهي الفقر والجهل والأمية ومناهج التعليم ووجود أنظمة حكم متطرفة تمارس العنف.لكن يظل سلاح القهر والاستبداد من أكبر الأسباب التي تولد العنف فقد سارعت بعض الأنظمة الحاكمة إلى ممارسة أشد أنواع القهر والتعذيب في حق الآخرين من دون هوادة عندما رضيت الحكومات العربية المذلة والاستسلام الكامل لرغبات أمريكا وإسرائيل، وتجاهلوا غليان الشارع العربي وإحساسه بالتهميش, هذا بالإضافة إلى سياسة الهيمنة الدولية التي تفرضها الغرب اتجاه الإسلام والمسلمين.كل هذه العوامل زاد من خطر التطرف الديني الذي انتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري إلى طور الممارسة العملية, على الرغم من أن النصوص الشرعية تدعو إلى الاعتدال، وتحذر من التطرف، ولكن لسان حال الأمة الإسلامية يخوف كثيراً، ولنعلم إلى أي حد ينهى الإسلام عن الغلو، ويخوف من مغبته. فقد روى الإمام أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه في سننهما، والحاكم في مستدركه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إيّاكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين"[٨٠]، وقال ابن تيمية قوله:» المراد بمن قبلنا: أهل الأديان السابقة، وخاصة أهل الكتاب، وعلى الأخص النصارى«[٨١] وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:» لا تشددوا على أنفسكم، فيشدّد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشُدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات«[٨٢]، ومن أجل ذلك قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه ينزع إلى الغلو في التدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووازن به بين الروحية والمادية، ووفق بفضله بين الدين

٨٠ - ابن حجر(١٤٠٧هـ). مصدر سابق.حديث رقم:**٢٦٢**

٨١ - ابن تيمية(١٤١٤هـ).مجموع الفتاوي.٢٣١.

٨٢ - ابن حجر(١٤١٢هـ).مصدر سابق.

والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان.فقد شرع الإسلام من العبادات ما يزكي نفس الفرد، ويرقى به روحياً ومادياً، وما ينهض بالجماعة كلها، ويقيمها على أساس من الأخوة والتكافل، دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت، فهي لا تعزل المسلم عن الحياة ولا عن المجتمع، بل تزيده ارتباطاً به، ومن هنا لم يشرع الإسلام «الرهبانية» التي تفرض على الإنسان العزلة عن الحياة وطيباتها، والعمل لتنميتها وترقيتها، بل يعتبر الأرض كلها محراباً للمؤمن، والعمل فيها عبادة وجهاداً، إذا صحت فيه النية، والتزمت حدود الله تعالى.ولا يقر ما دعت إليه الديانات والفلسفات الأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية، ومن حرمان البدن وتعذيبه حتى تصفو الروح وترقى، قال تعالى:{وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[٨٣]، وقال صلى الله عليه وسلم:»اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي»[٨٤]. فواجب المسلمين اليوم أن يمتثلوا لأمر الله سبحانه وتعالى، وأن يحبوا من الطيبات ما أحبه المولى عز وجل، بل شدد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على عدم تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله

لعباده وقال تعالى:{يأيها الَّذِينَ آمَنُواْ لا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَات مَا أَحَلّ الله لَكُم وَلاَ تَعْتَدُواْ إنّ اللهَ لا يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ }[٨٥]، فالآيتان الكريمتان تبينان للجماعة المؤمنة حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات، ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان السماوية، جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أن رجلاً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إنّي إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت للنساء، وإني حرمت على نفسي اللحم»فنزلت قوله تعالى:{يا أيُّها الذين آمنوا لا تُحرِّموا }. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فكأنهم تقالُّوها(أي عدّوها قليلة)، فقال بعضهم: لا آكل اللحم..

٨٣ - سورة البقرة:٢٠١.

٨٤ - مسلم،ابن الحجاج(١٣٣٠هـ).صحيح مسلم.مصدر سابق،حديث رقم:١٤٥

٨٥ - سورة المائدة:٨٧.

وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مِني»[٨٦]. وسنته عليه الصلاة والسلام تعني منهجه في فهم أصول الدين وتطبيقه، في نفسه وأهله والناس أجمعين، ومن سنته أنه كان معطياً كل ذي حقٍ حقَّه، فهذا هو التوازن والاعتدال. لذلك إن مكافحة الإرهاب لن تتم بالشجب والاستنكار وعقد المؤتمرات، بل بمكافحة الفكر الذي تم زرعه وغرسه في المجتمع، لأن اختراق الأفكار للعقول لا يتم بالتشديد الأمني والتغطية الإعلامية.

لذلك فإن بيان التطرف وتحديد المراد به بعلم وبصيرة، هو الخطوة الأولى في طريق العلاج، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة،ولا قيمة لأي بيان أو حكم ما لم يكن مستنداً إلى المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وإلى النصوص والقواعد الشرعية الثابتة، وقد اتفقت الأمة، سلفها وخلفها، على أن الرد إلى الله تعالى يعني: الرد إلى كتابه العزيز، والرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يعني: الرد إلى سنته عليه الصلاة والسلام،وبدون هذا التوثيق الشرعي لن يُعير الشباب المسلمون التطرف. فإذا أردنا الخلاص من هذه الظاهرة علينا أولاً أن نحدد المفاهيم والكلمات الشائعة كالرجعية الجمود والتطرف والتعصب... ونحوها، حتى لا نترك فرصة لكل من يريد أن يعبث

بالإسلام والمسلمين يفسره كل بما شاء وكيف شاء. ومن هنا فأننا إن تركنا لكل فرد أو جماعة تحديد مفهوم التطرف الديني حسب أهوائهم لتفرقت بنا السبل، لقوله تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُم لَفَسَدَتِ السَّمَاوَات وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنّ }[٨٧]. وفيما سبق هنالك ملاحظتين جديرتين بالاهتمام :

❋ إن مقدار تدين الإنسان، وتدين المحيط الذي يعيش فيه، من حيث القوة والضعف له أثره في الحكم على الآخرين، سواء بالتطرف أو التعصب أو التوسط.فمن المشاهد أن من يحمل في نفسه النزعة الدينية الخالصة، وكان الوسط الذي نشأ فيه شديد الالتزام بالدين، يكون مرهف بالحس الديني لأي مخالفة أو تقصير يراه. وفي المقابل فالشخص

٨٦ - البخاري ، سبق تخريجه.

٨٧ - سورة المؤمنون:٧١.

الذي قل زاده من التدين علماً وعملاً، أو عاش في محيط تجرأ على محارم الله وتنكر شريعته، يعتبر التمسك بالحد الأدنى من الدين ضرباً من التعصب أو التشدد.وكلما زادت مسافة البعد بينه وبين الدين، زاد استغرابه بل إنكاره، بل اتهامه لكل من يتمسك بعروة الدين بأنه متطرف، وكثير من أولئك يعيشون اليوم في أوطاننا بأسماء إسلامية، وعقول غربية، يعتبرون مجرد الالتزام بأوامر الله ونواهيه تطرفاً دينياً! وكثير ممن غزته الأفكار والتقاليد الغربية يعتبر الذين يتمسكون بآداب الإسلام غاية في التطرف والتعصب، وكذلك من يعتبر الدعوة إلى تحكيم شريعة الله، وإقامة دولة الإسلام في أرض الإسلام، تطرفاً في الدين! وهنالك من يرى أن الغيرة على الدين وحرماته، والأمر بالمعروف إذا ضُيّع،والنهي عن المنكر إذا وقع، تطرفاً في الدين، وتدخلاً في الحرية الشخصية للآخرين.

❋ أنه ليس من الإنصاف أن نتهم كل إنسان بالتطرف في دينه لمجرد أنه اختار رأياً من الآراء الفقهية المتشددة، ومن حقائق الحياة أن الناس يتفاوتون في تصوراتهم، فمنهم المتساهل الميسر، ومنهم المتشدد المعسر، وقد كان في الصحابة المترخص كابن عبّاس، والمتشدد كابن عمر رضي الله عنهم.ويكفي المسلم في هذا المقام أن يستند رأيه الذي تبناه إلى مذهب من المذاهب المعتبرة عند المسلمين، أو يعتمد على اجتهاد صحيح قائم على استدلال شرعي سليم؛ فإذا كان هناك من أئمة المذاهب المتبوعة من يقول بوجوب إعفاء اللحية وتركها وحرمة حلقها، فهل يوصف بالتطرف من اقتنع بهذا المذهب وأخذ به، وطبقه على نفسه لأنه خالف رأيي ورأيك ورأي زيد وعمر من العلماء، ولا سيما المعاصرين؟ وهل من حقنا أن نصادر حق امرئ في ترجيح رأي على آخر، وخاصة أنه يتصل بحياته وسلوكه.فالواقع أن كثيراً مما ينكر على من نسميهم "المتطرفين " مما قد يعتبر من التشدد والتنطع، له أصل شرعي في فقهنا وتراثنا، تبناه بعض العلماء المعاصرين، ودافعوا عنه ودعوا إليه، فاستجاب لهم من الشباب المخلص من استجاب، رجاء في رحمة الله تعالى وخوفاً من عذابه، وذلك كلبس الثوب (الجلباب) بدل القميص والبنطلون، وتقصيره إلى ما فوق الكعبين، والامتناع عن مصافحة النساء، وغيرها.ومن هنا لا نستطيع أن ننكر على مسلم، أو نتهمه بالتطرف، لمجرد أنه شدد على نفسه، وأخذ من الآراء الفقهية بما يراه أنه أرضى ربه، وأسلم لدينه.

ولقد دأب الغرب على إطلاق تسمية(الأصولية) في وصف كل اتجاه متزمت لا

يقبل أي حوار، يكافح متبعوه في سبيل رد الناس إلى نمط من الفكر يخالف متطلبات العصرنة، هذا الوصف يبدو دقيقاً حين يطلقه الغرب على الأصولية النصرانية، والأصولية الهندوسية، والأصولية الشيوعية، والأصولية التوراتية. ولكن هذا الوصف يبدو غير دقيق حين نطلقه على الأصولية الإسلامية، لأن الربط بين هذه المفاهيم وبين أصول التشريع الإسلامي يسقط خاصية من خصائص هذه الشريعة السمحة؛ ألا وهي المرونة والتطور في القيم الإلهية الثابتة التي أكدت بشكل واقعي أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان.ففي حالة التطرف الديني يكون الفرد متديناً عادياً يأخذ نفسه بتعاليم الدين ومبادئه، ويدعو الناس إلى الأخذ بذلك، ولا يملك المجتمع إزاء تلك الآراء إلا التعبير عن الرضا والتشجيع. فينحو هذا الداعية غالباً نحو التشدد مع نفسه أولاً ومع الناس، ويتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتبعه في مسيرته أو دعوته، وقد يتجاوز ذلك إلى اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته.ثم يبدأ بالعزلة والمقاطعة حتى يصل إلى إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع بالردة والكفر، والعودة إلى الجاهلية،فيتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف عدواني يرى المتطرف أنه من الواجب الذي يمليه عليه الدين هدم المجتمع ومؤسساته للتقرب إلى الله والجهاد في سبيله، لأن هذا المجتمع في نظره مجتمع يجب إزالته، لأنه لا يحكم بما أنزله الله سبحانه وتعالى، وهنا يجب أن يتدخل المجتمع لوضع حد لهذا التطرف ومصادره، باعتباره نشاطاً يصل بصاحبه إلى الاصطدام بالعديد من القواعد الاجتماعية والقانونية. ومن لوازم الحماية والدفاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،غير أن هنالك من المسلمين من أساءوا هذا الجانب بتفسيراتهم الخاطئة فدعوا إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، وإلى تهديد أمن الأفراد وحرياتهم.فالتطرف الديني بمستوياته تؤججه الميول والانحراف، وتنظمه قناعات دينية متشددة. فالملاحظ أن الرؤساء الغربيين قد اهتموا بمصطلحات التطرف المختلفة وادخلوا الدين لمحاربة المسلمين على كافة الأصعدة بعد أن ضمنوا الهيمنة السياسية والاقتصادية ولا خلاف بين علماء الاجتماع من أن الكيان الصهيوني قد نجح في تفعيل عناصر التطرف اليهودي والاستيلاء على الدول العربية، لإيجاد بيئة مناسبة لتنامي التطرف الديني اليهودي في كل أصقاع العالم، لتحقيق النبوءات التي جاءت بها المصادر التوراتية. ولا شك أن أهم حرب أثرت في الوعي الجمعي لليهود

العلمانيين والمتدينين كانت حرب ١٩٦٧م، عندما تمكّن الجيش الإسرائيلي من الانتصار على الجيوش العربية واحتلال الضفة الغربية والقدس وهضبة الجولان وقطاع غزة وصحراء سيناء، فقد رأى اليهود ان تلك الحرب التي انتصروا فيها كانت ''معجزة إلهية''، كما ذكر بعض كبار الحاخامات اليهود أن تلك الحرب بداية لتحقيق ''الخلاص'' في الأرض ومقدمة لنزول ''المسيح المخلص''. وقد عبر عن ذلك الحاخام(موشيه ليفنجر)، مؤسس فكرة الاستيطان اليهودي في الخليل، قائلاً:'' أن كل ما حدث من فعل العناية الإلهية التي شاءت تحرير أجزاء كبيرة من أراضينا''[٨٨]. وبُعيّد الحرب، أصدر الحاخام(مناحيم شير)، وهو من كبار مرجعيات المتدينين القوميين في المجتمع اليهودي، كتابه بعنوان «بحث خالص لطرق الخلاص ودلائله»، وجاء فيه:» أن حرب عام ٦٧ أعظم حدث في تاريخ الشعب اليهودي، منذ حرب اليهود بقيادة (متتياهو الحوشمائي) ضد اليونانيين القدماء، فهذه الحرب انطوت على معجزات كبيرة، لا تشبه المعجزات التي حدثت خلال الحروب الأخيرة، وهذه الحرب تبشر بقرب مجيء المسيح»[٨٩]. وقد ساد هذه الانتصار شعور المجتمع الإسرائيلي بأجمعه، ولم يعد الأمر

مقتصراً على المتدينين القوميين لأنها كانت من أهم محفزات انطلاقة مشروع الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان، وبالفعل شرع مجموعة من الشباب المتحمس من المتدينين القوميين في تشجيع من المرجعيات الدينية في تنظيم المظاهرات التي تطالب الحكومة الإسرائيلية بإطلاق أيدي اليهود في الأراضي المحتلة، وبفضل حالة الثقة بالنفس التي غذّتها نتائج الحرب، نظم المتدينون القوميون حملات للتوقيع على عرائض، تطالب ببدء الاستيطان في الأراضي المحتلة، وانضمت للتوقيع عليها شخصيات علمانية، في مقدمتها الشاعر (موشيه شامير).

كما حرص الحاخام(تسفي كوك)، نجل الحاخام(أفراهام كوك)، من تولى قيادة المتدينين القوميين بعد وفاة والده، على التحريض على الاستيطان في الأراضي المحتلة، حتى لو تطلب الأمر تحدّي الحكومة. ومن أهم إسهامات(كوك)رفعه شعار «لن تقيموا لن تسكنوا»، أي إنه، في حال لم يبادر المتدينون القوميون إلى إقامة المستوطنات في أرجاء الأراضي العربية

٨٨ - مارشال (٢٠٠٠م).ص٥

٨٩ - السيد،رضوان(١٩٩٠م).مصدر سابق.ص١٧

المحتلة، لن يتمكنوا من بسط سيطرتهم على «أرض الأجداد وإقامة مملكة إسرائيل»، كما جاء في المصادر التوراتية الدينية[90]. إن نتيجة حرب ٦٧ كان لها بالغ الأثر في تحول المعركة إلى التطرف الديني، فقد عزّزت دافعية الحرب للمواصلة الانخراط في الجهد الحربي، للقضاء على الأعداء. كما عززت فكرة الاستيلاء من ممارسة الحرب بصورة مستمرة كعلامة ثقافية قومية مميزة، كما يقول عالم الاجتماع الصهيوني (سامي سموحا): «أن من خلال الحرب توطدت أركان «ثقافية جديدة» في إسرائيل، تقوم على اتساع دائرة ممارسة العلمانيين للطقوس الدينية، والتوجه إلى الكنائس والتعلق بالتراث اليهودي الديني،التي تهدف إلى بلورة الهوية الثقافية المميزة في شقيها الشخصي والجماعي». وقد برزت بعد الحرب مباشرة معاهد وكليات تهدف، بشكل أساسي إلى إطلاع المجتمع اليهودي العلماني على أهمية الدراسات الدينية، وتعليمها في جوانبه «الصوفية». وبقراءة أخرى فشلت الحكومات العربية في التعاطي مع هذه الهزيمة الفاجعة والتي من خلالها ساهموا في ضياع الأراضي العربية، بل إنهم أسهموا في تغذية غرور التطرف الصهيوني في شقيها لديني والقومي، ومما يصيب المرء بالإحباط والدهشة أن نخباً عربية لا تزال تصر على عدم أخذ نتيجة هذه الحرب في الاعتبار عند التقييم، حيث يصرون على تمجيدهم. من الأسف أيضاً، إن الاختلاف في التعاطي في كل ما يتعلق بثنائية الهزيمة والانتصار يرجع بشكل أساسي، للاختلاف في التعاطي مع المصالح الوطنية والقومية، على الرغم من البون الشاسع في محددات التقدير الذاتي بين العرب واليهود.

٩٠ - الجندي (١٩٨٧م).ص١٥

مظاهر التطرف الديني

للتطرف الديني عدة مظاهر منها:

❋ التعصب والانغلاق الفكري: يرتبط التطرف بالتعصب والانغلاق الفكريين يفقد الفرد والجماعة القدرة على تقبل معتقدات أو أفكارا توافق معتقداتهم أو مجرد تجاهلها، فإن هذا يعد مؤشراً على تعصبهم وانغلاقهم على معتقداتهم. ويتجلى شكل الانغلاق في مايعتقده الفرد أو الجماعة في مدى صحته وهل قابل للنقاش أم لا؟.ونورد هنا ما جاء في موقع مقاتل من الصحراء (moqatel.com) أن مفهوم التطرف وفقاً للتعريفات العلمية السابقة يرتبط بالكلمة الإنجليزية Dogmatism أي الجمود العقائدي والانغلاق العقلي. والتطرف بهذا المعنى هو أسلوب مُغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الأشخاص الآخرين. ويتسم هذا الأسلوب بالآتي:

١. الجزم بأن المعْتقَد صادق صدقاً مطلقاً أو أبدياً.
٢. المعْتقَد يصلح لكل زمان ومكان.
٣. لا مجال لمناقشة المعتقد، ولا للبحث عن أدلة تؤكد وجوده أو تنفيه.
٤. المعرفة بمختلف قضايا الكون من المعْتقَد دون غيره.
٥. إدانة كل ما يخالف المعْتقَد.
٦. الاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي.
٧. فرض المعْتقَد على الآخرين بالقوة.

❋ التعصب للرأي وعدم الاعتراف برأي الآخرين: إن تعصب الشخص على فهمه لا يسمح له رؤية مصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار والجدال مع الآخرين، فنراه دائما ينكر الآراء المخالفة لوجهات نظره، ويزعم بأنه وحده على الحق، ومن عداه على الضلال، ويتهم من خالفه في الرأي بالجهل وإتباع الهوى، ومن خالفه في السلوك بالفسوق والعصيان، كأنه جعل من نفسه نبياً معصوماً، ومن قوله وحياً يوحى! مع أن سلف الأمة قد أجمعوا على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلاّ النبي صلى الله عليه وسلم.ومن العجائب أن من هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد في في حياة الآخرين، ويفتي فيما يروق له نفسه، فهذا التعصب المقيت الذي يثبت

المرء فيه نفسه، وينفي كل من عداه، هو الذي نراه اليوم يسود في كثير من المجتمعات الإسلامية، فالمتطرف كأنما يقول لك: من حقي أن أتكلم.. ومن واجبك أن تسمع.. ومن حقي أن أقود.. ومن واجبك أن تتبع.. رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب... وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبداً، لأن اللقاء يمكن أن يسهل المشوار، وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به، ويزداد الأمر خطورة حين يريد فرض رأيه على الآخرين بالعصا الغليظ، وهنا قد لا تكون من بالحديد ولا بالخشب، بل بالاتهام والابتداع وبالكفر فهذا هو الإرهاب الفكري الذي هو أشد تخويفاً وتهديداً من الإرهاب الحسي.

❋ إلزام المجتمع، بما لم يلزمهم الله سبحانه وتعالى به: من مظاهر التطرف الديني التزام التشدد وإلزام الآخرين ما لم يلزمهم الله به، إذ لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد في بعض المسائل، وبالأثقل في بعض الأحوال، تورعاً واحتياطاً، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا ديدنه في كل حال، لقوله تعالى:{...يريد الله بِكُمُ الْيُسْر وَلا يُرِيد بِكُمُ العسر ولتكملوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ }[٩١]، لقوله صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[٩٢]، وقوله:»إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته»[٩٣]، وما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلّا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما . فالواجب على المسلم أن لا يشدد على نفسه، ويعمل بالعزائم، ويدع الرخص والتيسير في الدين، ولكن الذي لا يقبل منه بحال أن يلزم بذلك جمهور الناس حتى لا يجلب عليهم الحرج في دينهم، والعنت في دنياهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يربي أصحابه على اليسر دون العسر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث خوفاً من الوقوع في المحظورات، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه، حتى إنه كان يتورم قدماه من شدة الإطالة، ولكنه كان أخف الناس صلاة إذا صلى في جماعة، مراعياً ظروف وحال الناس في التفاوت والاحتمال، وكان يقول: «إذا صلى أحدكم بالنّاس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير،

٩١ - سورة البفرة:١٨٥.
٩٢ - متفق عليه.
٩٣ - مسلم،ابن الحجاج (١٣٣٠هـ).مصدر سابق.حديث رقم:٩٢٧ .وبلفظ أخر كما تؤتي عزائمه.

وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما يشاء»[٩٤]، وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله، إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ ثم قال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمّ بالنّاس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة «[٩٥]. وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه حين أطال الصلاة بالقوم: »أفتَّان أنت يا معاذ؟! وكررها ثلاثاً »[٩٦]. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: »إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه». ومن التشديد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات كأنها محرمات، فالواجب ألاّ نلزم الناس إلاّ بما ألزمهم الله سبحانه وتعالى به، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا تركوا. وحسبنا هنا حديث طلحة بن عبيد الله في الصحيح، في قصة ذلك الأعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم، عما عليه من فرائض، فأخبره بالصلوات الخمس وبالزكاة ، وبصوم رمضان، فقال: هل عليّ غيرها؟ فقال لا، إلاّ أن تطوع، فلما أدبر الرجل قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق «[٩٧]. فحسبنا أن ننظر لحال المسلمين اليوم وهم يؤدون الفرائض في عصبية وشدة، إما ولاءً لمذاهبهم أو تطرفاً على حمل الصغائر أكثر من الكبائر لقوله تعالى:{ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً }[٩٨]، فكيف نسقط اعتبار المسلم بمجرد الوقوع فيما اختلف فيه من الأمور على الرغم من أن الحلال والحرام بينٌ، ومن هنا أنكر المتدينون تبني البعض خط التشدد والتزمت بصفة دائمة، والتزام أشد الآراء تضييقاً، وأقربها إلى التعسير، وأبعدها عن السعة والتيسير.

٩٤ - ابن حجر(١٣١٤هـ).تهذيب التهذيب.دار العلم،القاهرة،ط١ص١٣٣.
٩٥ - الفوائد المنتخبة « إن منكم منفرين ، فأيكم صلى بقوم فليتجوز فإن فيه الضعيف... رقم الحديث: ٨١
٩٦ - البخاري(١٣٣٦هـ).مصدر سابق.حديث رقم.[٦١٨]
٩٧ - أخرجه مسلم في صحيحه (ج٢ ص٧١٦) حديث رقم ()٩٣.
٩٨ - سورة النساء:٣١.

❋ الغلو والتشدد: من أبرز مظاهر التطرف الغلو، وهو عبارة عن تشدد عام يتعلق بالجوانب الفكرية والنفسية والاجتماعية. ومن مظاهر هذا التشدد ما يلي:

أ. الضيق برأي المخالف:من المعروف فقهاً أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرد، إلا الشارع، ولا إنكار إلا في مسائل الخلاف الذي يجوز فيه الاجتهاد، امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد».

ب. الإعراض عن التيسير: وهؤلاء غفلوا عن طبيعة أكثر الخلق التي لا تتحمل دائما مسلك الورع والاحتياط، ولم يتدبروا النصوص الشرعية التي أوصت بمراعاة ضعف الناس، لقوله تعالى:{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً }[99]، وقال ألشاطبي:» الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط والاعتدال، والآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، والداخل تحت كسب العبد من غير مشقة ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال»[100]، فلزاماً على المفتي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال.

ج. الغلظة والخشونة في معاملة الخلق: تقوم أمر الدعوة إلى الله على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن في جميع الأديان السماوية، لقوله تعالى:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }[101] وهذا ما جاء به هدي النبي صلى الله عليه وسلم حين أخبره المولى عز وجل بالرفق واللين في الدعوة. فالغلظة والاستعجال في التبليغ، وعدم احتمال الصبر على الناس، وإغفال سنة التدرج في التغيير، واحتقار البعض وإساءة الظن بهم، أحد مداخل التعصب ومن ثم التطرف، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:» المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره»[102]. ومن لوازم هذا السلوك سوء الظن بالمخالفين في الرأي واتهامهم والتركيز على سيئاتهم دون حسناتهم، والله سبحانه وتعالى يحذر من التطرف في إساءة الظن بالآخرين:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرا مِّن الظَّنّ إِن بَعْضَ الظَّنّ إِثْم }[103].

---

٩٩ - سورة الشرح:٦.
١٠٠ - الشاطبي (بدون تاريخ).
١٠١ - سورة النحل:١٢٥.
١٠٢ - أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.
١٠٣ - سورة الحجرات:١٢.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر العدالة والحقوق عندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له:» إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افتر عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم...»[104].فانظر كيف النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على أن يتدرجوا في دعوتهم إلى الله تعالى، ابتدءا بالشهادتين: الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فالصلاة، فالزكاة... وهكذا.

ولم يذكر القرآن الغلظة والشدة إلاّ في موضعين: أولاً في قلب المعركة ومواجهة الأعداء، والصلابة عند اللقاء، وعزل مشاعر اللين حتى تضع الحرب أوزارها، وفي هذا يقول الله تعالى:{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِين يَلُونَكُم مِّن الْكُفَّار وَلْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً}[105].

أما في مجال الدعوة، فلا مكان للعنف والخشونة، لقول صلى الله عليه وسلم:» ما دخل الرفق في شيء إلاّ زانه، ولا دخل العنف في شيءٍ إلاّ شانه «. فعلى الداعي أن يبتعد عن العنف والتعصب في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، حتى يستطيع أن يدخل إلى أعماق الناس، لتجعل منهم أشخاصا ربانيين في مفاهيمهم ومشاعرهم وسلوكهم، ويبدل كيانهم وتنشئ منهم خلقاً آخر، فكراً وشعوراً وإرادة، فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة تهز كيان المدعو هزاً، وتغير عقائده المتوارثة، وتقاليده الراسخة وأخلاقه المتعارفة، وأنظمتها السائدة. وهذا كله لا يمكن أن يتم إلاّ بحسن التأتي للأمور، والمعرفة بطبيعة وبيئة المدعو،فاللين والرفق يدخلان إلى عقله، ويتسلل إلى قلبهم دون شدة. وهذا ما قصه القرآن الكريم في مسالك الأنبياء والدعاة إلى الله كما نرى في دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، ودعوة شعيب لقومه، ودعوة موسى لفرعون..الخ.فانظر كيف خاطب مؤمن آل فرعون ومن معه، ليشعرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، ويهمه أمرهم، ويعنيه أن يبقى لهم ملكهم، ويدوم لهم مجدهم.ثم يخوفهم مما أصاب الأمم من قبلهم حين أعرضوا عن دعوة الله تعالى وطاعة رسله، لقوله تعالى:{وَقَال الَّذِي آمَن يَا قَوْمِ إِني أَخَفُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ }[106]. هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لأصحاب الدعوة إلى الله تعالى

١٠٤ - الترمزي(بدون تاريخ).سنن الترمزي.
١٠٥ - سورة التوبة:١٢٣.
١٠٦ - سورة غافر:٣٠.

أن يتبعوه في دعوتهم للمعاندين ومخاطبتهم للمخالفين، وحسبنا وصية الله تعالىٰ لموسىٰ وهارون

❋ سوء الظن بالآخرين: من مظاهر التطرف ولوازمه سوء الظن بالآخرين، والنظر إليهم من خلال منظار أسود، يخفي حسناتهم، علىٰ حين يضخم سيئاتهم. فالأصل عند المتطرف هو الاتهام، والأصل في الاتهام الإدانة، خلافاً لما تقرره الشرائع الدينية والقوانين: فالمتهم بريء حتىٰ تثبت إدانته.فالغلاة دائماً يسارعون إلىٰ سوء الظن والاتهام لأدنىٰ سبب، ودون أن يلتمسوا المعاذير للآخرين، ويجعلوا من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفراً!! وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل وجهين: وجه خير وهداية، ووجه شر وغواية، رجحوا احتمال الشر علىٰ احتمال الخير، خلافاً لما أثر عن العلماء والفقهاء من أن الأصل حمل حال المسلم علىٰ الصلاح، والعمل علىٰ تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان. ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء علىٰ العامة، بل يتعدىٰ إلىٰ الخاصة، فلا يكاد ينجو فقيه أو داعية أو مفكر إلا مسّه شواظ من اتهام هؤلاء. فإذا أفتىٰ فقيه بفتوىٰ فيها تيسير علىٰ خلق الله، ورفع الحرج عنهم، فهو في نظرهم متهاون بالدين. وإذا عرض داعية الإسلام عرضاً يلاءم ذوق العصر، متكلماً بلسان أهل زمانه ليبين لهم، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارته.. وهكذا.حتىٰ أئمة المذاهب الأربعة علىٰ ما لهم من فضل ومكانة في تسيير حال الأمة الإسلامية لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنهم.فما أصابت الأمة الإسلامية من فتنفي الماضي والحاضر أكبر دليل علىٰ أن التعصب والغلو لازال يمثل ثقافة وحضارة،فهما عند الجماعة تاريخ وفتن وصراع حول السلطة، وعند آخرين تاريخ وجاهلية وكفر، ولا ندري الذي يحق له أن يزكي نفسه دون الآخر، من أن الله سبحانه نهىٰ عن تزكية النفس بقوله تعالىٰ: { فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُو أَعْلَم بِمَن اتَّقَىٰ }[١٠٧]. لذلك فإن آفة سوء الظن بات يغلغل في أعماق النفوس، علىٰ الرغم من أن التعاليم الإسلامية تحذر أشد التحذير من خصلتين:سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم:» إيّاكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[١٠٨]. فالأصل في هذا الشأن هو الغرور بالنفس، والتحقير للآخرين، كما في معصية إبليس لربه، فالإعجاب بالنفس أحد المهلكات الأخلاقية التي تسمىٰ بمعاصي

١٠٧ - سورة النجم:٣٢.

١٠٨ - متفق عليه

القلوب التي حذّر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:»ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[109]. هذا مع أن المسلم لا يغتر بعمله أبداً، ،قال ابن مسعود:» الهلاك في اثنتين: العجب والقنوط، لأن السعادة لا تدرك إلاّ بالسعي والطلب، والمعجب بنفسه لا يسعى للوصول، والقانط لا يسعى لأنه لا فائدة للسعي في نظره.

* السقوط في هاوية التكفير: لا يقتصر تشدد المتطرف على نفسه,بل إنه يتشدد مع الآخرين، ويبلغ التطرف غايته عندما يُسقط عصمة الآخرين، ويستبيح دماءهم وأموالهم، وذلك حين يخوض المتطرف في لجّة التكفير، واتهام الناس بالخروج من الإسلام، وهذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد، وسائر الأمة في واد آخر. وهذا ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام، والذين كانوا من أشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية، ولكنهم فسدوا فساد الفكر، لا من فساد الضمير، فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:"يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم". وقال عنهم:" يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ووصف صلتهم بالقرآن فقال:" يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم "، وذكر علامتهم المميزة بأنهم "يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان"[110].

وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير، مع أن تكفير المسلم أمر خطير، يترتب عليه حل دمه وماله، والتفريق بينه وبين زوجه وولده، وقطع ما بينه وبين المسلمين، فلا يرث ولا يورث ولا يوالي، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولهذا حذّرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الاتهام بالكفر، بقوله: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[111]، وقال أسامة بن زيد: أن من قال:» لا إله إلا الله «، فقد دخل في الإسلام وعَصَمَتّ دمَهُ ومَالَهُ، وإن قالها خوفاً أو تعوذاً من السيف، فحسابه

١٠٩ - حديث ضعيف. رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وقال الألباني: "حسن لغيره"؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم٤٥٣.

١١٠ - سبق تخريجه.

١١١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد « باب العين « عبد الله بن دينار « الحديث السابع من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما

على الله، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم غاية الإنكار على أسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد أن نطق بالشهادة، وقال: قتلته بعد أن قال: لا إله إلاّ الله؟ قال: إنما قالها تعوذاً من السيف؟ قال: هلاّ شققت قلبه؟ ما تصنع بـ «لا إله إلاّ الله «؟!! قال أسامة: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ فقط «.ومن دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلاّ بيقين مثله، والشك والمعاصي لا تخرج المسلم من الإسلام، حتى الكبائر منها ما لم يستخف بحكم الله فيها، أو يرده ويرفضه. ولهذا أثبت القرآن الكريم مكانة الأخوة الدينية بين القاتل المتعمد وولي المقتول المسلم، بقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى }[112]، ويبلغ التطرف مداه حين يسقط في عصمة الآخرين ويستبيح دمائهم وأموالهم، وقد تصل دائرة التطرف مداها في حكم الأقلية على الأكثرية بالكفر والإلحاد في كل الديانات السماوية. ومن أهم ويلاتها العزلة عن المجتمع، والعزلة تؤدي إلى تجنب المتطرفون (المنكرات) التي تملأ جوانب المجتمع،ومحاولة تكوين مجتمع خاص بهم تُطبق فيه أفكارهم ومعتقداتهم، فالأولى وظيفة فكرية دينية، بينما الثانية وظيفة سياسية حركية.

❋فقد ميزان القوى الإيمانية: أي إن الشخص المتعمق والمتشدد يفتقر إلى ميزان العدالة الإلهية الصحيحة فيقيس والمواقف حسب هواه,ولذا من الطبيعي أن يخبط, فيتخذ الموقف ونقيضه ويقول الكلام وضده,بسبب جهله بالتشريع ومقاصده، وعدم إحاطته بالدين من جميع جوانبه.

❋التضييق على النفس:لقد دعا الإسلام في ذم التشدد والنهي عنه,والدعوة إلى التوازن والاعتدال والترغيب فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم,فإن قوماً شددوا على أنفسهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات"[113]

ومن آثار التطرف ما هو فكري، ويتمثل ذلك في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، فالغلو في الدين في العصر الحديث شوَّه الدين الإسلامي الحنيف، ونفَّر الناس منه، والإفراط في التدين أساس لإثبات الذات وإظهارها بأنها مميزة عن الآخرين، واتهام لأهل الوسطية والاعتدال بالتقصير والتهاون، ذلك لأن الغلاة يحسبون أنهم على خير وأنهم مهتدون؛ وأن من خالفهم أو لم يتبع ما هم عليه، فقد قصر في الدين وداهن فيه،

١١٢ - سورة البقرة:١٧٨.
١١٣ - سنن أبي داود « كِتَاب الْأَدَبِ « باب فِي الْحَسَدِ رقم الحديث: ٤٢٦٠

مما أكسبهم الاغترار بالنفس. ومن الآثار السلوكية السالبة بُعد المجتمع عن دينه الحق والانقطاع عنه، لهذا أرشدنا النبي عليه أفضل الصلوات إلى ترك الغلو والتشدد في العبادة قائلاً:» إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه«[١١٤].

١١٤ ـ العسقلاني،ابن حجر(١٤١٢هت). فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

التطرّف الدّيني الدواعي والأسباب

هنالك عدة عوامل تساعد في تنامي ظاهرة التطرف الديني وانتشارها في المجتمعات، ولعلّ أهمّها الأفكار المسبقة التي يتبنّاها الاتجاه الآخر من حيث معتقداته الدينية أو أفكاره السياسية. ومن خلال ما ذكر يمكن استنتاج أهم العوامل والدواعي التي تؤدي إلى تفشي ذلك السلوك الذي يهدم أواصر المجتمع، منها:

١. الجهل بين الأفراد والجماعات على المستويين المحلي والإقليمي والدولي.

٢. الفقر والبطالة التي يعاني منها الكثير من أفراد المجتمع، وأحيانا التعمد من قبل الدولة في خلق هذه الحالة بهدف إبادة الجنس البشري، وللتخلص من عرق أو جماعة معينة غير الموالية للنظام السياسي القائم.

٣. الظلم والعدوان، والقسوة والشدة ضد غير الموالين للأنظمة الدكتاتورية التي تصادر حقوق الإنسان الأساسية.

٤. عدم الاعتراف بمبدأ حق تحقيق المصير الذي كثيراً ما يواجه بالرفض من قبل الأنظمة السياسية المنغلقة.

٥. غياب الوازع الديني،والنظم المؤسسة في استخدام أساليب الحكم الرشيدة.

٦. تفشي الأخطاء المنهجية في التفكير: هناك فرق بين الجهل المطلق في الدين الذي يؤدي إلى الانحلال والتسيب، وبين ضعف البصيرة التي تعني نصف العلم، فهنالك من يرى ضرورة توافق العلم مع الدينفي الجزئيات والكليّات.

٧. تفسير وفهم النصوص بالظاهر: إذا نظرنا إلى الساحة العلمية اليوم نجد أن البعض يتمسك بحرفية النصوص دون معرفة مقاصدها، وهم يعدون من رواد (المدرسة الظاهرية)، وهي المدرسة التي ترفض تعليل الأحكام، وتنكر القياس.على الرغم من أن جمهور علماء المسمين يرون خلاف ذلك فإننا إذا لم نرد الأحكام إلى عللها، سوف نقع في المحظور، فلابد أن نفرق بين المتساويات والمختلفات. وعندما شاع أمر التطرف الديني، هنالك من أغفل مقاصد الشريعة، ورفض ربط الأحكام بالمصالح، ولم ينظروا إلى المبادئ الكلية، بل ألزموا الناس بإفهامهم.فاتبعوا المتشابهات وتركوا المحكمات: والمراد بالمتشابه: ما أشكل تفسيره، لمشابهته بغيره، وأما المحكم فهو البين بنفسه، الدال على معناه بوضوح، فهو واضح الدلالة، محدد المفهوم.أما أهل العلم فيردون المتشابه النسبي إلى المحكم، وأما

المتشابه الحقيقي وهو الذي لا يعلم تأويله وحقيقته إلا الله سبحانه وتعالى فموقفهم منه هو التسليم فالذين آمنوا من العلماء الراسخون في العلم هم أولو الألباب.

٨. التباس المفاهيم: فالذين يعترفون بالظاهر لم يتذوقوا اللغة وآدابها، ولم يفرقوا بين الحقيقة والمجاز، وبالتالي لا يفرقون بين الإيمان الكامل، وأصل الإيمان، وبين الإسلام الكامل ومجرد الإسلام، وبين الكفر الأكبر وكفر المعصية، ولا بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ولا بين الظلم ألاعتقادي والظلم العملي، والفسق ألاعتقادي والفسق العملي، ولا بين نفاق العقيدة ونفاق العمل، ولا بين بدعة الضلالة والسنة الحسنة.

٩. الإسراف في التحريم: من دلائل الضعف العلمي الميل إلى التضييق والتشديد والإسراف في التحريم، مع أن الله سبحانه وتعالى قد عباده من ذلك، في قوله تعالى: { ولا تقولوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِب هَذَا حَلاَل وَهَذَا حَرَام لِّتَفْتَرُوا عَلَى الله الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِين يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ }[١١٥].

وبجانب تلك الأسباب هنالك من يرى ضرورة تصنيف أسباب التطرف على النحو التالي: الأسباب العلمية، والأسباب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، والأسباب العلمية.

١١٥ - سورة النحل:١١٦.

الآثار الاجتماعية للتطرف الديني

التطرف الديني هو حالة من الجمود الفكري والانغلاق العقلي، وتعطيل للقدرات الذهنية عن الإبداع والابتكار، وعن إيجاد الحلول في عالم يتغير على مدار كل دقيقة أو ساعة، لذلك فإن انتشار ظاهرة التطرف الديني في الأوساط الاجتماعية أكثر فظاظة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، بل يكون مهدداً لمسيرة الأمة، فالتطرف يمكن أن يكون سبب ونتيجة للتخلف والركود.ومن هنا يمكن أن نلخص آثار التطرف الاجتماعي والاقتصادي على السياق التالي:

١. التدهور في الإنتاج، يعتبر الإنسان أهم عنصر في قوى الإنتاج،والذي بموجبه يستطيع أن يطوّر ويبدع في إنتاجه الفكري والثقافي، بحيث يكون قادراً على الابتكار والتجديد. فإذا ما كان أسيراً لأفكاره وعاجزاً عن التفكير وإعمال العقل، فإن ذلك يجعله متمسكاً بالأساليب التي تعيق الإنتاج بأنواعه المختلفة.

٢. يمثل التطرف خط العودة إلى التدهور والانحلال ألقيمي والأخلاقي والسلوكي، وبالتالي فإنه يعمل على قطع العلاقات الاجتماعية بين الناس، الأمر يؤدي إلى غياب التسامح والتعايش.

٣. ارتباط التطرف بالتعصب والعنف، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى صراعات وحروب حامية الوطيس تدمر كل البنيّات الاجتماعية والاقتصادية للدول.

٤. يعطل التطرف الديني كل الطاقات الإنسانية التي يستخدمها للتخلص من الصراعات والعداءات النفسية، وبالتالي يحول المجتمع إلى ساحة للكبت والانحراف. فالعنف الذي نشاهده اليوم ليس وليد لحظة أو نزوة عابرة بل هي مبررة إيديولوجياً وجدت لنفسها غطاءً فقهياً فأصبحت ظاهرة سلوكية متأصلة عند الجماعات العربية الإسلامية الراديكالية،بل هي امتداد طبيعي لتاريخهما الطويل كما يراه القسيس الأمريكي جورج بوش(الجد الأكبر) في كتابه المثير للجدل:(محمد صلى الله عيه وسلم ،مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين)[١١٦]، إلاَّ أن بعض المفكرين المعاصرين يعارضون هذا الجدل الفكري،ويرون أن الغرب قد زرع هذه الشبهة من أجل الاستنقاص بالعرب والمسلمين ونبيهم عليه والصلاة والسلام[١١٧]. فرغم عدم قدرتنا على إنكار العنف

١١٦ - بوش (٢٠٠٠م).ص٣٢٧.

١١٧ - السيابي(٢٠٠٥م).ص٢٤

المستخدم اليوم بشراسة من قبل بعض الجماعات ، إلَّا أنه يتوجب علينا إنكار مسألة ربط العنف بالإسلام؛ وذلك أن الفعل حينما يتأصل في المعتقد يصبح صفة ملازمة لها، وقولنا برط العنف بالإسلام يعني بأن صفة العنف هي من شعائر الإسلام والمسلمين، وهي صفة تتنافى مع مقاصد التشريع الإسلامي، والغاية التي من أجلها خلق الإنسان.

٥. يسبب التطرف الديني الأزمة الفكرية: تعتبر الأزمة الفكرية اليوم من أبرز الأسباب التي أدت تفشي هذه الظاهرة الخطيرة، ويعود ذلك إلى هشاشة الجانب الفكري الذي يعانيه شبابنا اليوم وهو ما حذر منه الكثير من علماء المسلمين فقالوا أن مغبة الإهمال الفكري لدى الشباب المسلم، والاكتفاء بتقدمهم العلمي فقط مقابل الانعدام الفكري سوف يقع الجميع في المحظور[١١٨]. فالبنية الفكرية لبعض الجماعات المتطرفة أصبحت تشكل ضغطاً فكرياً على هؤلاء الشباب الذين انصهروا في بوتقة فكرهم المتطرف بكل سهولة إما بسبب ما يعانونه من فراغ ثقافي وفكري، أو بسبب تخلفهم الاقتصادي. فعندما غاب الدليل والحكم الرشيد،أصبح هؤلاء الشباب ضحية لأفكار هؤلاء المتطرفون، فاستخدموا من الوسائط الإعلامية المختلفة للتحكم فيهم حتى أصبحوا مغيبين الوعي. فاليوم نحن في أمس الحاجة إلى مشروع إصلاحي فكري وثقافي يساهم في خلق بنية فكرية متينة لتبصير شباب الأمة الإسلامية ما يحاك ضد عقيدتهم؛ والعمل على مواجهة المذاهب الفكرية والدينية المعاصرة بنوع من الأمانة العلمية المطلقة، وهو مشروع لا يمكن تحقيقه إلّا من خلال تغيير سياسة التعليم ووضع المناهج الدراسية التي تهتم بالوحدة الوطنية الخالصة، وإقامة الفعاليات الفكرية في المدارس والمؤسسات الجامعية من خلال المحاضرات والأنشطة اللا صفية التي تساهم في تحريك المشاعر والأحاسيس الفكرية التي تسعى إلى إضفاء القداسة الدينية على مشروع الإسلام السياسي والأيديولوجي، حتى لا يتسع نطاق خطر الإرهاب الذي شمل الإنسان والدين والعقل والحياة اليوم.

٦. الأزمة الفقهية: انبثقت الأزمة الفقهية من أزمة سوء فهمهم لكثير من النصوص الفقهية، وهذا ما ترتب عليه من إصدار عدد من الفتاوى المتطرفة التي اتكأت عليها هذه الجماعات منذ نشأتها الأولي إلى اليوم، ونقتصر هنا على حديث نبوي واحد نكشف فيه حقيقة جهلهم الفظيع في التعامل مع الأحاديث النبوية المتعلقة في التعامل مع المشركين،

---

١١٨ - شريعتي،علي، النباهة والاستحمار(١٩٨٤م) القاهرة .ص١٧.

وكيف أنهم أخطئوا فهمهم لهذه الأحاديث بعيداً عن القرآن الكريم، للوصول إلى المقصد والجوهر الحقيقي دون النظر إلى الأحداث السياسية والوقائع التي رافقت هذا الحديث، ومن هذه الأحاديث: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ"[١١٩]، فهنالك من نظروا إلى ظاهر الحديث ورأوا بأن هذا حديث عام، فاعتقدوا بوجوب قتال الكفار من أجل إدخالهم في الدين، وأن إكراه الناس بالدين جائز ولو بقتلهم، وهي للأسف الشديد قراءة بعيدة كل البعد عن الخُلُق القرآني الداعي إلى احترام الآخر حتى في المسائل العقائدية، فالناظر للمنهج القرآني في التعامل مع غير المسلم، يرى أن القرآن الكريم ينبذ فكرة الإكراه في الدين، لقوله تعالى: {لاَ إِكْرَاه فِي الدِّينِ }[١٢٠]، وقد قال بعض العلماء أن تطبيق هذا الحديث إنما هو على عاتق الدولة التي تدافع عن الإسلام فهو ليس فعل أفراد. لذلك فإننا اليوم لفي أَمَسِّ الحاجة إلى القراءة المتأنية والنقدية للأقوال الفقهية التي أَوَّلت بعض الأحاديث تأويلاً لا يليق بمقام الأحاديث النبوية الشريفة.

١١٩ - البخاري(بدون تاريخ).صحيح البخاري.حديث رقم:٢٧٢٧.

١٢٠ - سورة البقرة:٢٥٦.

نماذج من الجماعات المتطرفة

ما أن أصبح التطرف أمراً واقعاً، إلا وبدأت كل فئة تخلق لنفسها حالة من عدم الاعتدال والتوسط لكي تلمع نفسها، أو تجد موطئ قدم على مسرح الأحداث، ومن هنا باتت ثقافة التطرف بكل أنواعها تدق ناقوس الخطر في أنحاء العالم على الرغم من ممانعة الأديان السماوية لها. ومن هنا إن جاز التعبير نبدأ بنماذج من المتطرفين الذين يدعّون السلفية وبعيدا عن الجدل المثار حول مصطلح السلفية وما التصق به من تفاسير متنوعة، نفهم السلفية أنها التيار الإسلامي الأكبر والخط العريض الذي عليه أغلب أهل السنة والجماعة، وهي أكبر من أن نقصرها في جماعة أو فئة في مرحلة ما، وهي ببساطة السير على منهاج النبي وسلف الأمة في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك ومحاولة الاقتراب من النص وفهمه، والمحافظة على مقاصد الشريعة العامّة ومنها الاجتماع، وعدم الفرقة، وحفظ الحقوق، والحق أن البون الشاسع بين السلف الصالح وبين بعض من يتبنون الانتماء إلى السلف الصالح في هذا العصر، (فالسلف الصالح منهج متعدد الرؤى متنوع المدارس لا ينتهي عند أحد من الأئمة. فالسلفية ليست جموداً بل حراك وفتح واسع لباب الاجتهاد[١٢١].

ولعل هناك بعض الخلافات حول بعض المبادئ بين الدعوة السلفية المعاصرة، والسلفية الجهادية التي تمثل المرجعية الدينية عند مختلف الجماعات التكفيرية والجهادية القتالية المعاصرة، وفي مقدمتها تنظيم «القاعدة»، كما توجد هناك فروق علمية وتأصيلية في أبواب الحسبة والاحتساب والسياسة الشرعية وفروعها.

أيضاً هنالك تقاطعات فكرية بين الجماعات الجهادية وجماعات أخرى كالإخوان المسلمين خاصة في باب الحاكمية والأحزاب والدعوة إلى الله تعالى، ولعل الخلاف هنا مقبول أذا سلمنا بأن السلفية منهجاً لا جماعة ومع ذلك فهذا لا يعني أن كل الاجتهادات والتفسيرات مقبولة ومعتبرة في المنهج السلفي؛ فالسلفية منهج له أصوله وقواعده وأسسه، وهناك مساحة واسعة للاجتهاد في محيطه، فسعة منهجه وثراء مقولاته لا تؤدي إلى النسبية المطلقة وغياب الحدود الفاصلة التي تكشف الاجتهادات المقبولة داخل المنهج السلفي والاجتهادات المخالفة له واضحة أيضاً وجلية .

١٢١ أ.د. عصام أحمد البشير ،ندوة (السلف الصالح مذهب أم منهج)،٨/رمضان ١٣٤٠ه الرياض، السعودية، ١-

وعلى الرغم من اختلاف من ينتمي لهذا التيار في جدوى الاشتغال بالعمل السياسي عموماً، ومشاركة الناس همومهم فيما يتعلق بدفع الظلم عنهم واختلافهم في التوصيف الشرعي للأحداث الأخيرة التي مرت بالمنطقة العربية والتي أطلق عليها بما سمي بالربيع العربي وما صاحب ذلك الربيع من إراقة وسفك للدماء، وإتلاف لبعض الممتلكات وإشاعة للذعر في صفوف الناس وتشريدهم، فقد اختلف من ينتمي لهذا التيار في توصيف ما حدث ؛ أهو خروج على الحاكم يحصل به الإثم وتظهر به الفتنة، أم جهر بالحق في وجه الظالم وإنكار للمنكر وأخذ بالعزيمة، ولم يسلم هذا التيار من

انتقادات دعاة وعلماء السلفية فاتهموهم بأنهم تغاضوا عن الدعوة للتوحيد وترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين ؛ وأنهم أخطئوا في دعوتهم للثورة على النظم الحاكمة، واعتمدوا في جهادهم على بعض الفتاوى والتطبيقات الخاطئة، مما أدى إلى ظهور جماعات مسلحة نسبت لنفسها الحق في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ووصفت فيما بعد بالإرهاب، وهي تتميز عن بقية المجموعات الأخرى بتكفير كل من يخالف عقيدتها وتستبيح قتله كمرتد؛ لذا يعتبرها البعض أنها تسعى لتبييض صورتها أمام العالم الإسلامي من خلال نسب نفسها للسلف في حين يدافع السلفية عن منهجهم بأنه وسطي ليس به تكفير ولا تفجير انتحاري.

ويرى الكثير من المحللين أن هذه النزعة التكفيرية الجهادية نتجت لأسباب سياسية أهمها الهيمنة الأمريكية على العالم، ودعمها لإسرائيل في الصراع العربي الإسرائيلي، ولعل من ايجابيات خطاب السلفية المعاصرة التركيز على أهم قضية في الفكر السياسي الإسلامي؛ وهي قضية تحكيم الشريعة الإسلامية، وارتباطها بأصل الدين والإيمان، وأن التحكيم بالقانون الوضعي خروج عن الدين. والمتابع اليوم للكثير ممن كتبوا عن السلفية والمنهج السلفي يجدهم في الحقيقة من المتخبطين في فهم ماهية السلف والسلفية، حتى أن بعضهم جعلوها سلفيات كثيرة جهادية وتكفيرية ودعوية لها مناهج متعددة.

فإذا أخذنا السودان كنموذج، لم تنجُ الجماعات السلفية من ظاهرة الصراعات الداخلية والانشقاقات التي انتهت بهم إلى تيارات وأجنحة عدّة، أبرزها جماعة اللاجماعة والتي انشقت عن جماعة أنصار السنة عام ١٩٩٠م. وترفض هذه الجماعة العمل المنظم

بأمير أو قائد، وتذهب بالقول ببدعية الانتماء للجماعات الإسلامية، وتسعى لإقناع الشباب بالخروج على جماعاتهم، ولا تؤمن بالعمل السياسي، وترى أن من السياسة ترك السياسة، وتدعو إلى وجوب طاعة الحاكم وتحرّم المعارضة السياسية، كما لا تؤمن بشرعية قيام الأحزاب السياسية أو أي شكل من أشكال التعددية الدعوية أو السياسية في المجتمع والدولة. أيضاً تتبنى هذه الجماعة المنهج الدعوي للشيخ ناصر الدين الألباني الذي يقوم على ما يسميه منهج التصفية والتزكية، ويعني بها تصفية كتب التراث من الحديث الضعيف والمرجوح وتربية الأتباع على ما صح من ذلك. وقد ارتبطت هذه المجموعة بحادثة مشهورة، وقعت بمنطقة الخرطوم، حينما أقدم شباب الجماعة على سكب البنزين على جهاز التليفزيون وحرقه على مشهد من الأهالي بدعوى دخوله على النساء في مخادعهن دون استئذان[١٢٢]. وقد كان من أبرز قيادات هذه الجماعة الشيخ حسين خالد عشيش وهو داعية سوري استقر بالسودان منذ العام ١٩٩٣. والتيار الثاني من المنشقين فقد عُرِفوا باسم (جمعية الكتاب والسنة الخيرية)؛ ونشأت إثر الخلاف مع قيادة جماعة أنصار السنة عام ١٩٩٢م. واختارت لنفسها أهدافًا محددة تمثلت بمحاربة الشرك والخرافة ومظاهر الشعوذة والدجل ونشر العقيدة الصحيحة. أما التيار الثالث من المنشقين والذي سُمي بجماعة أنصار السنة (الإصلاح)، فقد ظهر إلى العلن في يوليو[١٢٣]٢٠٠٧. وهو أحدث الجماعات السلفية انشقاقًا عن الجماعة الأم بعد الخلاف الذي نشب بين رئيس الجماعة شيخ الهدية ونائبه الشيخ أبي زيد محمد حمزة رحمهما الله، بسبب المشاركة في الحكومة السودانية. ولما زادت شُقّة الخلاف أصدر الشيخ الهدية رحمه الله بيانًا فصل بموجبه الشيخ أبا زيد محمد حمزة من منصبه كنائب للرئيس ومن الجماعة، وفصلت الجماعة أيضاً عدداً من القيادات الطلابية الذين كانوا طرفاً في الأزمة. وحينها نشطت وساطات من قبل المهتمين بالعمل الدعوي لتقريب وجهات النظر بين الطرفين، ولكنها لم تنجح في احتواء الخلاف بينهما[١٢٤]. ويتجلى الخطاب السلفي في

١٢٢ - منتصر أحمد إبراهيم؛ السلفية الجهادية ومهددات الأمن القومي السوداني؛ مطبعة الحوراني؛ القاهرة؛ ١٩٩٧؛ ص٢٨.

١٢٣ - محمد نجيب العالم؛ تاريخ السلفية في السودان؛ دار النزهة؛ الجماهيرية العربية الليبية؛ ط١؛ ١٩٩٨؛ ص ٢١٩.

١٢٤ - محمد نجيب العالم؛ تاريخ السلفية في السودان؛ دار النزهة؛ الجماهيرية العربية الليبية؛ ط١؛ ١٩٩٨؛ ص ٢٢٣.

كونه خطاب ذو طابع هجومي يضع الجماعات الإسلامية كافة تحت مجهر الشريعة والتاريخ الإسلامي الحافل بالفتوحات والغزوات مما يجعلها في موقع الدفاع. فالخروج من هذه المعضلة الصعبة يجب على قيادات السلفية الجهادية فهم الدين ومن جانب اليسر وليس العسر ، والتحصن في العلم الشرعي والتوسع في دراسة الفرق الإسلامية والملل والنحل والأديان والجماعات وغيرها، مما يمكّنهم من الوقوف على مناهج وعقائد هذه الجماعات، وبالتالي يصبح بمقدورهم تحديد الموقف الشرعي، وكشف حقيقة توجهاتها وصولاً إلى إحراجها وحتى إدانتها إن لزم الأمر. وعندما خلت الجماعات الأخرى من أدبيات المخاطبة اتبعت السلفية منهجاً المخالفين في الرد لكشف عورات تلك الجماعات والطعن في مناهجها وعقائدها. ولعل في هذا ما يفسر جانباً من شدة العداء والكراهية للسلفية الجهادية من قِبَل أقرانها. والأرجح أن جاذبية الخطاب السلفي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن الأداء المسلح للتيار الجهادي العالمي سواء في الولايات المتحدة أو أوروبا أو الشيشان أو أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا واليمن الآن؛ وغيرها من المناطق الساخنة، وهو ما يشكل علامات استفهام في مخرجات الخطاب الديني. فالخطاب السلفي يقدم نفسه إعلامياً ليس على المنابر ولا عبر البيانات أو الانشغال بالخطب الرنانة والاجتهادات الفقهية المستعصية على التطبيق، بل في الميادين العسكرية وفي صورة مقاتلين(أولي بأس شديد)، وهم يحطمون الآليات العسكرية الضخمة ويطيرون الأشلاء ويقطعون الأوصال[١٢٥]، ويدمرون الأبراج ويسقطون الطائرات ويقنصون الجنود ويخترقون الحصون والساحات في فترة زمنية قصيرة، حتى يشعروا بأنهم في وضع(التمكين)، وبالتالي لهم القدرة بما يكفي لنقل المعركة من الساحة الإسلامية إلى ساحة الخصم عبر شعار(اليوم نغزوهم ولا يغزوننا) وترجمته في صورة الهجوم على الولايات المتحدة في عقر دارها وهدم رموز القوة فيها واستباحة ديار من المفترض أنها آمنة وبعيدة عن التهديد والخطر كما هو حال في الدول الأوروبية. بينما الخطاب السياسي العربي ونظيره الديني بكل ما يمتلكه من إمكانيات وعناصر للقوة كانت أميل إلى المهادنة، ودون التفكير من خوض أية مواجهة حقيقية مع تلك الجماعات. وهذا ما تسبب في انهيار مصداقية الخطاب الرسمي صاحب اللغة الأمنية والإعلامية مما جعّل الخطاب السلفي الجهادي ذو جاذبية تستعصي على

١٢٥ ١- أحد المنتمين لهذه الجماعات الجهادية شق صدر أحد أفراد الجيش السوري وأقتلع قلبه ولاكه على مرأى من الكاميرا والفيديو منتشر على اليوتيوب (انترنت).

الكثيرين الرد، وعلى ذلك فهم مستفيدون من ضعف لغة الخصم(١٢٦).

إلى جانب الخطب الملتهبة التي بدأ السلفيون الجهاديين إلقاءها من فوق منابر المساجد وفي أشرطة الكاسيت المسجلة وفي الميادين العامة؛ فقد ظهرت أيضًا فتاوى تكفيرية، طالت أشخاصاً ورموزاً وكيانات سياسية؛ ففي العام ١٩٩٥م، صدرت فتوى بتكفير الدكتور حسن الترابي والمطالبة بإعدامه[١٢٧]. ثم بعد ذلك بقليل، صدرت فتاوى أخرى تكفّر من ينضم إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق- قبل انفصال جنوب السودان، كما أيضاً أفتوا بعلمانية الحكومة وبحرمة المشاركة في الانتخابات لأنهم يرون أن العملية الانتخابية كلها كفر. وفي ٢٠٠٦م، اتهموا محمد طه محمد أحمد بالردة والكفر والزندقة[١٢٨]. وفي نفس العام أيضاً، أفتوا بكفر الشيعة واعتبروهم ليسوا خارجين من ملة الإسلام وإنما لم يدخلوه أساسًا، ودعوا لوضعهم في حفرة وعدم لمسهم باليد لنجاستهم والمطالبة بإغلاق السفارة الإيرانية في الخرطوم، كما قاموا بحرق كتب الشيعة التي كانت معروضة في أحد أجنحة معرض الكتاب في الخرطوم عام [١٢٩]٢٠٠٦. وفي أوائل العام ٢٠٠٧م، تم قتل البريطانية جوليان جييوتر والتي كانت تعمل في إحدى المدارس السودانية لاتهامها بالإساءة إلى الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، كما جددوا في العام نفسه تكفير الترابي على خلفية إفتائه بجواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة وجواز اعتلائها لمنبر صلاة الجمعة. ولحق التكفير أيضًا السيد الصادق المهدي[١٣٠]. وقد بأت

١٢٦ * بعد توقيع مصر لاتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٩ رفع الرئيس المصري الأسبق محمد أنور السادات شعار: ''لا حرب بعد اليوم''، ومنذ ثلاثين عاما أو أكثر، ما زالت البيانات السورية تشتمل على عبارة ثابتة عقب تعرضها لأي هجوم إسرائيلي حتى الأخير في غمرة الأحداث السورية: «نحن من يحدد زمان المعركة ومكانها، ولن نسمح لأي كان أن يجر سوريا إلى معركة لا تحدد هي زمانها ومكانها»، وقد صرح الأمير السعودي تركي الفيصل لوكالتي الأنباء الألمانية (د.ب.أ) و»رويتر» في كرونبرج بألمانيا: {''إن عرض المبادرة العربية للسلام الشامل مع ''إسرائيل'' لازال قائماً''، وإن العالم العربي تجاوز بمبادرة عام ٢٠٠٢ بشكل حاسم مرحلة العداء ومد يد السلام إلى ''إسرائيل''. راجع: موقع صحيفة الخليج الإماراتية (٢٠٠٨/١/٢١)، على الشبكة: http://www..alkhaleej.co.ae/articles/show_article.cfm?val=٤٧١٨٧٤.

١٢٧ - تنظيم القاعدة في السودان: منصات جديدة للانطلاق. أرشيف وزارة الخارجية السودانية.

١٢٨ - د.صالح الزين عثمان؛ السودان: تنامي التيار السلفي الجهادي؛ دار الحوصي للطباعة والنشر؛ أم درمان؛ السودان؛ ط١؛ ٢٠٠٩؛ ص٤٥.

١٢٩ - المصدر السابق نفسه ، ص ، ١١٧

١٣٠ - عثمان، صالح الزين(٢٠٠٩م). السودان: تنامي التيار السلفي الجهادي؛ دار الحوصي للطباعة والنشر؛ أم درمان؛ السودان؛ ط١؛ص١٥٧.

الصراع التكفيري يتنامي في السودان على ضوء الأحدث بين السلفيين والصوفية خلال احتفالات المولد النبوي الشريف في ٣١ يناير ٢٠١٢م؛ حيث أصيب وجرح العشرات من المواطنين، وذلك قبل أن تتمكن الشرطة من فض الاشتباك. وقد كانت لتلك الصدامات واقعة في، فضلاً عن الخلافات المعهودة

بينهما حول شرعية ولا شرعية الاحتفال، نتيجة للتوتر الذي نشأ بينهما على خلفية قيام مجهولين بنبش وحرق ضريح أحد مشايخ الصوفية في ٢ ديسمبر٢٠١١م. ويعتقد البعض أن النشاط التكفيري الذي ظهر في السودان بصورة واضحة في التسعينات من القرن الماضي، وأن أول من تصدى لهم هم جماعة أنصار السنة المحمدية، بعد أن شعروا بانتشار الفكر التكفيري بصورة متصاعدة، ودخلوا في صراعات متعددة بلغت ذروتها عندما قامت مجموعة توصف بأنها تفكيرية ولها صلة بعرب أفغانستان الذين دخلوا السودان مع زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن. قامت هذه المجموعة بشن هجوم على مسجد في حي الثورة الحارة الأولى في مدينة أم درمان والذي يعتبر أحد معاقل جماعة أنصار السنة في السودان، أثناء صلاة الجمعة، وقد أسفر تلك الهجوم عن مقتل ٢٠ شخصاً وجرح العشرات، وواصل التكفيريون حملتهم على أنصار السنة، فيما عرف بحرب المساجد في العاصمة والولايات. وفي عام ٢٠٠١م هاجم أحد منسوبيهم أحد مساجد جماعة أنصار السنة المحمدية السلفية في منطقة الجرافة شمال مدينة أم درمان أثناء صلاة التراويح، وحصد على إثرها ٢٠ من المصلين بينما أصيب في الحادثة ٣٣ مصلياً. وفي النصف الأخير من التسعينات تحركت مجموعة من التكفيريين من مسجد شهير في ضاحية الكلاكلة بجنوب الخرطوم وتوجهوا، راجلين إلى قرية مجاورة لمدينة (ود مدني)، ودخلوا هناك مع جماعة تكفيرية أخرى مناوئة، في اشتباك بالأيدي والأسلحة البيضاء. ويرى بعض الخبراء أن واقعة اغتيال الدبلوماسي

الأميركي مايكل غرانفيل وسائقه في شوارع الخرطوم في مطلع عام ٢٠٠٨م كانت ضمن النشاط التكفيري في السودان، ويستدلون بأقوال المتهمين[١٣١].

ومن هنا تنامى المد السلفي في السودان في السنوات الأخيرة، وبدلا عن السلفية

١٣١ ١- آدم، إسماعيل (٢٠٠٩م). تكفيريو السودان.. الوجه الآخر للقاعدة،صحيفة الشرق الأوسط،الجمعة /٢٥ العدد -١١٢٥٩

التقليدية التي كانت تركز دعوتها على تصحيح العقيدة ومحاربة الشرك وتكفير الأفراد؛ ظهرت السلفية الجهادية التي انتقلت إلى تكفير النظم والحكام واستخدام العنف، وقد بثت ما يسمى بمؤسسة الهجرتين، مقطع فيديو ظهر فيه ثلاثة من الشباب الملثمين، بطريقة تبدو مشابهة تماماً للأدبيات الإعلامية لتنظيم القاعدة.

حيث قام احد الشباب بتلاوة بيان إعلان جماعة دعاة الشريعة في السودان، من وراء لافتة حملت ذات مضمون الخطاب المصور، ولم تغب عنها صورة بنادق الكلاشنكوف، بذات طريقة ظهور قادة تنظيم القاعدة في مقاطع الفيديو.

ومع مرور الأيام تراجعت الجاذبية السلفية السلمية للدعوة في ظل تنامي الاأحدلث المحلية والإقليمية والدولية بينما بدأت السلفية الجهادية بالصعود على نطاق واسع، ومع انتشار الكتائب أصبح من الصعوبة بمكان وضع خارطة تفصيلية لها، فالكثير من هذه الكتائب كان يتعرض للتحول والتطور أو الاضمحلال مع تدفق المتطوعين في سوريا والعراق على ضوء تزايد الانتصارات التي تحققها على الأرض، وقد بدأ الآن نوع من الفرز والتمايز بين الكتائب الإسلامية الجهادية وكتائب الجيش الحر؛ ففي حين تبدو الكتائب الإسلامية الجهادية متماسكة ومنظمة فإن كتائب الجيش الحر تبدو رخوة التنظيم وبالتالي أقل فاعلية مقارنة بها.

وقد دار جدل كبير ولا زال في جواز غزو الجيش دون إذن الإمام مهما كان الأمر؛ لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور، وليس أفراد الناس، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد، فلا يجوز لأحد أن يغزو دون إذن الإمام إلا على سبيل الدفع، لأن الأمر مناط بالإمام؛ فالغزو بلا إذنه تعد على حدوده؛ فلو جاز للناس أن يغزوا بدون إذن الإمام لأصبحت المسألة فوضى، ولحصلت مفاسد عظيمة، وبغي الناس بعضهم علي بعض فمصلحة البلاد لا يقدرها إلا أولو الأمر عند التطبيق، ولعل المراقب لأساليب بعض هذه الجماعات المعاصرة التي تدعي رفع راية الجهاد يجد منها ما هو محرم شرعا ومن الأمثلة :

❊ سفك الدم الحرام على علم، فهم مستعدون لقتل النفوس المعصومة ويتحججون بأنهم سيبعثون على نياتهم.

❋ اختطاف الأجانب وغيرهم، وذبح المخطوفين - مدنيين وعسكريين - وتصوير العملية ونشرها عن طريق الأقراص المدمجة أو الانترنت بغية إشاعة الرعب في صفوف المواطنين والمستثمرين وتقليص فعالياتهم.

❋ استخدام سيارات مفخخة لضرب أهداف مدنية وتدمير منشآت حيوية مثل أنابيب النفط وخطوط الكهرباء وخطوط الهاتف وأنابيب الماء والجسور والأنفاق، ومرافق حكومية ووزارات أمنية.

❋ تزوير الجوازات وغيرها من الأوراق الرسمية.

❋ الاغتيالات دون أن يكون ذلك بأمر من السلطان: ويستدلون على مشروعية هذه الاغتيالات بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باغتيال كعب الأشرف اليهودي وآخرين، ويجاب عنه بأن هذه الاغتيالات لم تتم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بأمرين أحدهما:

١. أن يكون الأمر صادراً من ولي أمر المسلمين، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي أمر لها، فكان هو الذي يصدر الأوامر.

٢. أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك إلا مع المشركين، ممن عرف عند الجميع كفره، واشتهر سبه وقدحه في النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن يأمر صلى الله عليه وسلم باغتيال كل كافر، وإنما أمر باغتيال بعض الكفار ممن كان يتطاول على جناب النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقدح فيه، كالكعب الذي هجا النبي صلى الله عليه وسلم وأعان المشركين على حربه، ولما ذهبوا إليه لم يعطوه تأميناً له بالتصريح، وإنما أوهموه ذلك وآنسوه حتى تمكنوا من قتله.

❋ تنزيل شخص من الأشخاص منزلة الأمير الذي له حق السمع والطاعة في العسر واليسر والمكره والمنشط وأثرة عليهم، وله حق الاستنفار متى ما رأى ذلك، وله حق تقديم طاعته على غيره من الناس، وإن أمر بالتضحية بالنفس والمال. ولا شك أن شخصاً ينزل مثل هذه المنزلة لا بد أن يكون لتنزيله هذه المنزلة أدلة كثيرة كما وردت في حق الأمير العام وما جرى مجراه، ولا يعرف في الشريعة أمير بهذه المنزلة إلا الأمير العام أو ما كان في جهته، وهؤلاء لا يولون على هذه المناصب إلا باتفاق أو بأغلبية أهل الحل والعقد

ممن لهم الكلمة، وهذا غير موجود في تنظيمات الجهاديين الآن. وقد روى البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:(من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه). قال أبو يعلى: (أما انعقاد الإمامة باختيار أهل الحل والعقد فلا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد. وقال أحمد في رواية إسحاق بن إبراهيم:» الإمام الذي يجتمع قول أهل الحل والعقد عليه، كلهم يقول هذا إمام». ويطلق لفظ «أهل الحل والعقد» على أهل الشوكة من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يحصل بهم مقصود الولاية، وهو القدرة والتمكن، وهو مأخوذ من حل الأمور وعقدها. ولما كانت أمور الخلافة وتعيين الخلفاء متعلقة بأهل الحل والعقد كان لابد من أن تتوفر فيهم الصفات التالية:

أ. العدالة الجامعة لشروطها الواجبة في الشهادات من الإسلام والعقل والبلوغ وعدم الفسق واكتمال المروءة .

ب. العلم الذي يوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها.

ج. الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح.

د. أن يكون من ذوي الشوكة الذين يتبعهم الناس، ويصدرون عن رأيهم ؛ ليحصل بهم مقصود الولاية.

هـ. الإخلاص والنصيحة للمسلمين.

هكذا استطاع التكفيريون أن ينفروا كل فرد أو جماعة من الإسلام بما قاموا به من الأعمال التي تتصادم وتتنافى مع الدين، وبما زرعوه في نفوس الناس من صور العنف. ولعل من أبرز الآثار الضارة: أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١م، والدمار والخراب في أفغانستان والتي على منوالها انتشرت المخدرات، وبلغت ذروتها في كل بلدان الشرق الأوسط. وقد استفادت أميركا من تلك الأحداث بضرب أفغانستان في عام٢٠٠١م، ثم العراق في عام٢٠٠٣م، إشارة من الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي قال:»إن الله أمره أن يخوض الحرب في أفغانستان والعراق». وقال مجاهراً الإيمان بمبدأ عدم احترام سيادة الدول، والدخول إلى أراضيها دون إذنها لتصفيه المخالفين أو خطفهم، وقد نفذت أميركا ذلك في عشرين دولة، وفي هذا انهيار للنظام الدولي المعاصر القائم

علىٰ مبدأ احترام سيادة الدول وحدودها. كما تدخُّلت أميركا تدخلاً غير مسبوق في شؤون الدول الأخرىٰ وأجبرتها علىٰ فتح ملفاتها الأمنية باسم التعاون ألمخابراتي وتبادل المعلومات، ونجح في تَكوّين التحالف الدولي ضد الإرهاب، فتكونت قوة ما يُسمَّىٰ بحفظ الأمن في أفغانستان من تحالف(٤٠) دولة تقودهم أميركا لاحتلال أفغانستان، وقدمت نحو(١٠٠) دولة تسهيلات أرضية أو جوية لأميركا لضرب أفغانستان. ولتنفيذ تلك الخطط العسكرية اعتقلت أميركا وحدها نحو ٢٥ ألف مسلم عقب ١١/ سبتمبر منهم ٢١ ألفاً في سجونها في العراق، ونحو ألف في «غوانتانامو» في كوبا، ونحوهم في سجن باغرام وغيره في أفغانستان، ومثلهم في سجون باكستان، هذا بخلاف السجون السرية التي تديرها وكالة المخابرات المركزية الأميركية في بلدان أخرىٰ. مع حرمان هؤلاء المعتقلين من أبسط الحقوق المقررة في مواثيقهم الدولية والإنسانية، فضلاً عن تعذيبهم بوسائل شتىٰ دفعت الكثيرين للانتحار.

وقد أعقب بعد الحادي عشر من سبتمبر انتشار ثقافة التمييز العنصري بين المسلمين بعضهم بعضا. وقد وصل إلىٰ حد قتل بعضهم في الشوارع مع انتهاك الحريات والحقوق. وفي هذا السياق نجح الغربيون عموماً في الإساءة إلىٰ الإسلام والمسلمين، إذ نسبوا كل الأحداث العالمية إلىٰ الدين الإسلامي، وعلىٰ منوالها ظهرت المصطلحات التالية: الإسلاموية والفاشية الإسلامية والإسلامو فوبيا وغيرها.

لذلك فإن أمر الجهاد موكول إلىٰ إمام المسلمين واجتهاده ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك؛ لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم:» من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصىٰ الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني»[١٣٢]،

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال له:» تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[١٣٣]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(فطاعة الله ورسوله واجبة علىٰ كل أحد، وطاعة ولاة الأمر واجبة؛

١٣٢ متفق عليه: أخرجه البخاري، في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: [أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]، برقم ٧١٣٧، ومسلم، في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها فِي المعصية، برقم ١٨٣٥.

١٣٣ ـ أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، برقم ٥٢/١٨٤٧.

لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم: فما له في الآخرة من خلاق)[١٣٤].

ومن طاعة ولي الأمر عدم الجهاد إلا بإذنه؛ لحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال:(أحيٌّ والداك)؟ قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد)[١٣٥]، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّما الإمام جُنَّة يُقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر، وإن أمر بغيره كان عليه منه)[١٣٦]. ومن ذلك قول الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى:(وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك)[١٣٧]، وقال:(فإذا ثبت هذا فإنهم لا يخرجون إلا بإذن الأمير؛ لأن أمر الحرب موكول إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقلّتهم، ومكامن العدو، وكيدهم، فينبغي أن يُرجع إلى رأيه؛ لأنه أحوط للمسلمين إلا أن يتعذر استئذانه؛ لمفاجأة عدوهم لهم، فلا يجب استئذانه؛ لأن المصلحة تتعين في قتالهم، والخروج إليه؛ لتعيّن الفساد في تركهم، ولذلك لما أغار الكفار على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجًا من المدينة تبعهم فقاتلهم من غير إذن، فمدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله[١٣٨]: (وخير رجَّالتنا سلمة) فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سهمين: سهم الفارس، وسهم الراجل[١٣٩]، وذكر الإمام الخرقي وابن قدامة أيضاً أنه لا يجوز حتى الخروج من العسكر إلا بإذن الأمير، ولا يُحدث حدثاً إلا بإذنه؛ ولأن الأمير أعرف بحال العدو، ومكامنهم، ومواضعهم، وقربهم، وبعدهم، فإذا خرج خارج بغير إذنه لم يأمن أن يصادف كمينًا للعدوِّ فيأخذه...)[١٤٠]. وفيما سبق لا يجوز لأحد من أفراد رعية الإمام المسلم وإن كان عاصياً أن يخرج إلى الجهاد إلا بإذنه على حسب ما تقدم. قال الإمام

١٣٤ - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٥/١٦-١٧ .

١٣٥ - متفق عليه: البخاري، برقم ٣٠٠٤، ومسلم، برقم ٢٥٤٩، وتقدم تخريجه في استئذان الوالدين في الخروج إلى الجهاد في سبيل الله تعالى.

١٣٦ - أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب الإمام جنة يقاتل به من ورائه أو يتقى به، برقم ١٨٤١.

١٣٧ - المغني لابن قدامه، ١٣/١٦ .

١٣٨ - المغني لابن قدامه، ١٣/٣٣-٣٤ .

١٣٩ - أخرجه مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، برقم ١٨٠٧.

١٤٠ - المغني لابن قدامة، ١٣/٣٨ .

الخرقي رحمه الله: (ويُغزى مع كلِّ برٍّ وفاجرٍ)، وقال ابن قدامه: (يعني مع كل إمام)[١٤١].

ولا يجوز لأحد من رعية الإمام أن يدعو الناس إلى الجهاد بدون إذن الإمام؛ لما في ذلك من المفاسد، والأضرار، ومخالفة إمام المسلمين الذي أمرنا الله بطاعته، وعلى كل مسلم أن يسأل أهل العلم إن لم يعلم؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والواجب أن يُعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح، في الباطن الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، فأما أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يُؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا)[١٤٢].

ومما يُؤكد أهمية السمع والطاعة ما حصل لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في صلح الحديبية حينما اشتد عليهم الكرب بمنعهم من العمرة، وما رأوا من غضاضة على المسلمين في الظاهر، ولكنهم امتثلوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك فتحًا قريبًا، وخلاصة ذلك أن سهيل بن عمرو قال للنبي صلى الله عليه وسلم حينما كتب: بسم الله الرحمن الرحيم: اكتب باسمك اللهم، فوافق معه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولم يوافق سهيل على كَتب محمد رسول الله، فتنازل النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أن يكتب محمد بن عبد الله، ومنع سهيل في الصلح أن تكون العمرة في هذا العام، وإنما في العام المقبل، وفي الصلح أن من أسلم من المشركين يردُّه المسلمون، ومن جاء من المسلمين إلى المشركين لا يُردّ، وأول من نُفِّذ عليه الشرط أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فردَّهُ النبي صلى الله عليه وسلم بعد محاورة عظيمة، وحينئذٍ غضب الصحابة لذلك حتى قال عمر رضي الله عنه

للنبي صلى الله عليه وسلم: ألست نبيّ الله حقًّا؟ قال: (بلى)، قال: ألسنا على الحق، وعدوُّنا على الباطل؟ قال صلى الله عليه وسلم (بلى)، قال: فلم نُعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: (إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري)، قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا، فلما فرغ الكتاب أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا، فدخل على أم سلمه رَضِيَ ٱللَّه عَنْهَا، فشكا ذلك، فقالت: أنحر واحلق،

١٤١ ـ المغني لابن قدامة، ٣٨/١٣

142 ـ الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٤٩ .

فخرج فنحر، وحلق، فنحر الناس وحلقوا حتى كاد يقتل بعضهم بعضًا[143]، فحصل بهذا الصلح من المصالح ما الله به عليم، ونزلت سورة الفتح، ودخل في السنة السادسة والسابعة في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، ثم دخل الناس في دين الله أفواجًا بعد الفتح في السنة الثامنة. ولهذا قال سهيل بن حنيف رضي الله عنه: (اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أردّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم لرددته)[144]

وهذا يدل على مكانة الصحابة رضوان الله عنهم. وخلاصة القول، فإن من ضوابط الجهاد وفق النصوص الشرعية ما يلي:

❋ عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وأصحاب الحرف المهنية والمكفوفين.

❋ تحريم قتل المدنيين والأبرياء.

❋ لا يجوز التمثيل بجثث القتلى من الأعداء .

❋ يمنع هدم منازل لمحاربين ولا تحرق محاصيلهم و زرعوهم لغير مصلحة

❋ الرحمة بالأطفال والصبيان , لأنهم لا يدخلون الحرب إلّا بعد البلوغ[145].

ومما سبق وعند التأمل في مواقف بعض من ينتمون إلى السلف ومنطلقاتهم الفكرية؛ يلاحظ بوضوح وجلاء أنهم يستندون إلى قواعد فكرية متشددة يخالف بعضها ما هو مبرهن عليه في الشرع ، كما يتضح أن هناك فرقاً شاسعاً بين السلفية الحالية وتلك التي عاشها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ابتعدت السلفية الحالية عن السير على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم، وسلف الأمة في بعض المسائل التي تخص الجهاد والتكفير، وكذلك المحافظة على مقاصد الشريعة العامّة ومنها الاجتماع وعدم الفرقة، والحق أن البون الشاسع بين السلف الصالح وبين بعض من يتبنون الانتماء إلى السلف الصالح في هذا العصر، فالسلف الصالح منهج متعدد الرؤى متنوع المدارس وليس من نهجهم ادعاء الحقيقة المطلقة أو تمليك العصمة والقداسة لغير الرسول صلى الله عليه

143 - متفق عليه: أخرجه البخاري، في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، برقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، برقم ١٧٨٤.

144 - متفق عليه: أخرجه البخاري، في كتاب الجزية والموادعة، باب رقم ١٨، برقم ٣١٨١، ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم ٩٥/١٧٨٥.

145 - فقه الجهاد , ٧٢٥/١ - وما بعدها .

وسلم، إلا في ما كان إجماعاً قطعياً متيقناً. والسلف في إطار هذا الضابط يؤمنون بفكرة الاختلاف في الأمور الاجتهادية، وأن الخلاف سنة كونية وشرعية.

ومع ذلك نقول أن وقوع بعض المنتسبين إلى السلفية في بعض الأخطاء لا يجوز أن يُنسَب إلى السلفية؛ وإنما تُنسَب الأقوال والأفعال إلى قائلها أو إلى الجماعة التي تقررها، وحينئذٍ فالنقد الإعلامي الذي يوجَّه إلى السلفية بشكل عام هو نقد مأزوم غير موضوعي؛ لأن الناقد يقصد شخصاً معيَّناً أو فئة محددة، ويتكلم بخطاب عام، ثم يكرر في كل مرة اعتذاره أنه لا يقصد الجميع؛ وإنما يقصد بعضهم. فالمتطرف الذي يسلك سلوك التعصب الديني غالباً ما ينعزل عن الفكر العام، وقد يصل إلى نهاية مقياس الاعتدال، إما بسبب تشظي في الأفكار أو السلوك، أو بسبب تفشي الأساليب القمعية التي تقوم بها الأنظمة الحاكمة مع معتنقي الفكر. فيتحول شكل التطرف من فكر أو سلوك مظهري إلى عمل سياسي،وهنا يلجأ المتطرف إلى استخدام العنف في تحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفرد أو جماعته الدينية أو السياسية. وعندما لا تستطيع الجماعة المتطرفة تحقيق بعض الانتصارات، قد تلجأ إلى استخدام الإرهاب الفكري أو النفسي أو المادي ضد كل من يقف عقبة أمام تحقيق أهدافها. ومن أعظم التحديات الذي تواجهها ما تسمى بالقوى العالمية في حربها على التيار الجهادي العالمي أو ما اصطلح على تسميته بمكافحة الإرهاب، وهو التحدي الذي يتمثل في الخطاب السلفي الجهادي العابر للحدود، بوصفه (دعوة وغزوة)، يتوجه إلى العامة والأفراد من الناس مخاطبا فطرتهم حتى لو كانت لغته نخبوية باستعمالها لغة العلم الشرعي مما يعطي هذا الخطاب جاذبية خاصة، فأي نصير للسلفية يمكنه أن يشارك في الحوار بحيث يثني ويمتثل مثلما يناصح وينتقد ويجاهر بخلافه مع رموزها الكبار دون أن ينتظر تهميشا أو نبذا أو تجميدا لعضوية أو تهديدا بقطع الراتب أو فقدان لأي ضمانات مما تكَبَّل به العضوية عادة، فالعقيدة هي الحَكَم بين الأنصار والرموز وأهل الجهاد وليس التنظيم وما يقدمه من امتيازات. لكن مشكلة بعض الجماعات الإسلامية التي نخرتها الحزبية والعصبية التنظيمية تتعامل مع السلفية باستخفاف ظاهري تارة وباستعلاء تارة أخرى، وتبدو وكأنها تخوض معها صراعا على امتياز ما في حملة انتخابات ، في حين أن الكتلة السلفية لم يعد لها من امتياز

حتى في الحياة الآمنة[146].

لذلك فإن ظاهرة التطرف الديني سواء كان إسلامياً أو مسيحياً أو يهودياً، وجدت مع ظهور هذه الأديان على البسيطة، وهي ظاهرة تتفشى كلما توفرت الظروف الملائمة لها، على الرغم من أن البنية الأساسية للأديان الإلهية تدل على أن هنالك بعض القواسم المشتركة تجمع بينهم، كالتسامح والتآلف، ومع أن بعض الرموز النهضوية والإصلاحية كثيراً ما يجتهدوا في التصدي للتردي الحضاري والثقافي التي مرت ولا زالت تمر بها الأمة الإسلامية إلا أن المناورات السياسية والدينية المصاحبة لهذا الحدث لازالت تفتك بالأمة اليوم،مما فتق الأمة الإسلامية بداء التيارات السلفية والجهادية والشيعية... وغيرها شملت كل أرجاء المعمورة كلٌ يريد لنفسه موطئ قدم بثوب جديد، ومن أبرز الدول التي اشتهرت بتفشي ظاهرة الإرهاب:

❋ ألمانيا: تعتبر ألمانيا من أكثر الدول الأوروبية شهرة في مجال ممارسة الإرهاب، وهذا ما أكدته الروايات التاريخية القديمة التي تحدثت عن الحكومة النازية في عهد هتلر, حيث قامت النازية في بادئ الأمر بالقضاء على الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين والنقابات العمالية,مفتعلة حريق الرايخستاغ « Reichstag brand» في ٢٧ شباط ١٩٣٣م, حيث تم القبض بتهمة إشعال الحريق على الهولندي الجنسية ووصفه بأنه ينتمي للحزب الشيوعي السوفيتي التي كانت تسعى للقضاء على الشيوعية الألمانية. فصدر في اليوم التالي ٢٨ شباط مرسوم عطل كل الحريات الشخصية وحرية الصحافة والاجتماع بحجة حماية الشعب الألماني من قرصنة الروس، وعلى ضوءها وجهت السلطات النازية الإرهاب ضد الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي وبقية الأحزاب، وقامت السلطات بإغلاق مقرات كافة الأحزاب وصحفها، فإمتلات السجون ومعسكرات الاعتقال. الأمر الذي قاد إلى هجرة كبيرة بحثاً عن الأمن والحرية والديمقراطية. وقد قصد بكل هذه الإجراءات اليهود فوقعت العديد من الاعتداءات على محلاتهم التجارية وارتفعت الهتافات في الشوارع ضدهم إلى أن وصل الحد إلى الحوادث المفجعة "إبادة جماعية"، والتي ارتكبت ضدهم.

---

١٤٦ - راجع: "تقرير وزارة الخارجية الأميركية عن الإرهاب الدولي في العام ٢٠٠٦- المملكة العربية السعودية"، صادر من مكتب منسق مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية في ٣٠ نيسان/إبريل، ٢٠٠٧. على الشبكة: http://www.cdhrap.٢٠٠٦.htm/net/text/tqarer/alkarjeei/٠٠٤

كما عانت ألمانيا من الجماعات الإرهابية المتطرفة اليمينية واليسارية بعد الحرب العالمية الثانية والتي قامت بارتكاب أعمال عنف ضد المصالح الأمريكية في ألمانيا وضد الحكومة التي كانت تتدخل لقمع هذه الحركات.ومن أهم الجماعات اليسارية(حركة عصبة الجيش الأحمر (RAFوالتي تعرف باسم ''بادرماينهوف'' بدأت هذه الحركة نشاطها في عام ١٩٦٨م، وقامت بعمليات نهب وهجمات بالقنابل وخطف أشخاص وطائرات، كما قامت بالعديد من الفعاليات الإرهابية في ألمانيا وخارجها. وقد شارك بعض أعضاء المنظمة في العمل الإرهابي الذي تم عام ١٩٧٥ م على مقر منظمة الأوبك. أيضاً قامت باختطاف الطائرة الفرنسية عام ١٩٧٦م بعد إقلاعها من تل أبيب وعلى متنها ٢٥٠ مسافراً، وأيضاً اختطاف الطائرة الألمانية عام ١٩٧٧م، حيث توجهوا بها إلى مقديشو, حيث تمكنت فرقة من القوات الخاصة الألمانية إنهاء حالة الاختطاف بعد قتل الخاطفين. كذلك استطاعت منظمة الخلايا الثورية(RZ) في عام ١٩٧٣م، القيام بعمليات الشغب والاعتداءات اليسيرة. وفي بداية التسعينيات ظهر ما يعرف بإرهاب اليمين في ألمانيا الاتحادية نتيجة لظهور إرهاب اليسار، إلا أنه كان يختلف عن اليسار في أهدافه وأسلوبه، فإرهاب اليمين لا يهدف إلى تغيير المجتمع وإقامة نظام شيوعي متحرر من روابط السلطة,ولكنه يسعى إلى إقامة نظام ديكتاتوري، ولذلك لا يستهدف رموز السلطة وإنما يختار ضحاياه من عامة الشعب. فالواقع أن إرهاب اليمين في ألمانيا الغربية أقل خطورةً وضعفاً من إرهاب اليسار، فكان يستمد جذوره من الحزب الوطني الديمقراطي NPD الذي يمثل اليمين المتطرف الذي يعاني اليوم بحالة من الضعف. أيضاً هنالك الجماعات النازية الجديدة والتي تسمى بجماعة Hepp Hexel التي تعادي الولايات المتحدة الأمريكية، وقد قامت بتنفيذ العديد من العمليات ضد قواتها الموجودة في ألمانيا, وقد تنامت عمليات الإرهاب في ألمانيا بعد الوحدة الوطنية التي شهدتها الألمانيتين نظراً لتزايد معدلات البطالة وتزايد الشعور المعادي للأجانب العاملين في ألمانيا, فتحول هذا الشعور المعادي إلى عمليات عنف مع الأقليات بشكل عام.

❋ إيطاليا: يرتبط الإرهاب في إيطاليا ارتباطاً وثيقاً بالفاشية,ويرجع ذلك إلى عام ١٩٤٥م حيث انتهت الحرب العالمية الثانية بويلاتها, كما انتهت التجربة المرة التي عاشتها أوروبا مع النازية والفاشية معاً ثم بدأت إيطاليا غمار الطريق الصعب لإعادة البناء وتعمير ما

دمرته الحرب, فإعادة الأحزاب تكوين نفسها توطئة لإقامة نظام ديمقراطي،ففي عام ١٩٤٦م كون مجموعة من الفاشية حزباً أطلق عليه أسم (الحركة الاجتماعية الإيطالية), الذي ظل يعمل كمأوى لفرق اليمين المتطرف, متهماً سلطات الدولة أنها لم تحقق أي نجاح في تطهير أجهزة الدولة الإيطالية من الفاشيين ويذهب بعض الكتاب الإيطاليين إلى التأكيد على دور المخابرات الأمريكية والإنجليزية في معاونة بعض الفاشيين القدامى على التغلغل في أجهزة الدولة والقوات المسلحة، ويرون أن التمهيد لإرهاب اليمين يجب أن تبدأ عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث كانت الولايات المتحدة وبريطانيا في حاجة إلى تكوين شبكة من العملاء ومقدمي المعلومات عما يتم في أعلى مستويات هيئة أركان القوات المسلحة الإيطالية. ففي كنف الحركة الاجتماعية,وجد إرهاب اليمين الظروف المناسبة للنمو وممارسة نشاطها.ومنذ عام ١٩٤٥م وحتى عام ١٩٦٨ م قام الفاشيون بارتكاب مجموعة من الاعتداءات على خصومهم السياسيين, ونظموا العديد من المظاهرات غير القانونية اتسمت بالعنف في الميادين العامة، كما قاموا بهجمات على مقار الأحزاب السياسية الديمقراطية.كل تلك الأحداث توضح مدى تطابق وتأثر الأسلوب الإجرامي لإرهاب اليمين في تلك الفترة بالفاشية، كما قامت بارتكاب العديد من أعمال العنف المسلح ضد صحف ومقار الأحزاب اليسارية.

وخلاصة ما تقدم يمكن القول بأن الفترة من عام ١٩٤٥ م وحتى عام ١٩٦٨م كانت فترة صياغة أو صناعة إرهاب اليمين لأنها الفترة التي أخذت فيها تلك الحركات التي تستهدف قلب نظام الحكم في خطوة نحو الخروج عن الشرعية, فقامت من خلالها بتنظيم نفسها محاولة إعطاء تبرير إيديولوجي مقنع لنشاطها. ولكن حتى تلك اللحظة لم يكن لدى إرهاب اليمين الوسائل والتمويل المالي والرجال المناسبون والمستعدون لبدء الكفاح ضد الدولة الديمقراطية، ويبدو أنه تغير الأمر بعد عام ١٩٦٨م الذي شهد اندلاع الحركة الطلابية, وفي عام ١٩٦٩ م شهد تصاعد الحركات العمالية مما أثار خوف رجال الصناعة والقادة السياسيين والعسكريين. وعلى منوالها شهد إرهاب اليمين قفزة واسعة وتحولاً نوعياً ملحوظاً ففي الثاني عشر من شهر ديسمبر١٩٦٩م بدأت صفحة مؤسفة في تاريخ الإرهاب وفي إستراتيجية ممارستها حيث وقعت مذبحة ''بياتسا فونتانا '' في ميلانو, وذلك عندما انفجرت قنبلة كانت مخبأة تحت منضدة البنك الوطني

الزراعي المزدحم مما أسفر عن مصرع ستة عشر شخصا وإصابة تسعين آخرين.ومن هنا بدأ إرهاب اليمين في تطوير أسلوبه الإجرامي بالاتجاه نحو ارتكاب المذابح التي أثارت قدراً كبيراً من الهلع والفزع نظراً لعدم تحديد أشخاص الضحايا، وعلى ضوءها سقط أعداد كبيرة من المواطنين جراء تلك الحملات الاغتيالية. ثم استمرت موجة الإرهاب اليميني في إيطاليا خلال السبعينات, واستمرت معها المذابح فكانت آخر المذابح مذبحة السكك حديد في مدينة بولونيا في الثاني عشر من أغسطس عام ١٩٨٠م.
❋ أسبانيا: تعتبر منظمة(ايتا) ومعناها ''بلاد إلباسك والحرية'' من أكثر المنظمات المتطرفة التي ظهرت على مسرح الأحداث في الخمسينات، حيث تأسست عام ١٩٥٩م وبدأت العمل المسلح عام ١٩٦١م، ثم تزايد نشاطها في أعقاب موت الجنرال فرانكو في عام ١٩٧٥م.كان ظهور آيتا بمثابة رد فعل مضاد للطابع الاستبدادي الذي اتسم به حكم فرانكو. ومنظمة(ايتا) حركة قريبة من حزب إلباسك الوطني غير أنها ابتعدت عنه في الستينات منتهجة الخط الماركسي اللينيني مستهدفة تحقيق استقلال إقليم إلباسك وتوحيد مقاطعاته السبعة في دولة واحدة ذات اتجاهات شعبية اشتراكية لغتها الرسمية هي اللغة الباسكية. ورغم ما تعرضت له منظمة(ايتا) من انشقاقات,إلا أن أهدافها ومبادئها الأساسية لم يطرأ عليها تغيير جوهري, فهي مؤمنة بأن تحقيق أهدافها لا يتأتى إلا من خلال اللجوء إلى العنف. وتضم المنظمة جناحين: الجناح العسكري، والجناح المدني، وتعتنق المنظمة الفكرة الاشتراكية، ولها علاقات وروابط كثيرة على المستوى الدولي، وأول عملية إرهابية قامت بها(ايتا) في عام ١٩٦٨م، حيث تم اغتيال مدير مكتب المخابرات الأسبانية بمدينة(سان ساباستيان) بإقليم إلباسك. وكانت أول أقوى ضربة وجهتها المنظمة إلى الحكومة الاسبانية في عام ١٩٧٣م حيث تم اغتيال رئيس الوزراء الإسباني لويس كاريرو بلانكو وذلك بواسطة سيارة ملغومة في وسط مدريد. ثم تزايدت العمليات الإرهابية المتطرفة بصورة ملحوظة بعد نهاية حكم(فرانكو) حيث بلغت ذروتها في الفترة من عام ١٩٧٨م وحتى عام ١٩٨٠م,وهي الفترة التي شهدت فيها إسبانيا قيام الحكومة الديمقراطية. فشملت اعتداءاتها رجال الشرطة وأفراد الحرس المدني,كما عمدت المنظمة إلى مهاجمة الجيش،غير أن كبار قادته قد تعرضوا لحوادث الاغتيال من قبل القوات المسلحة التي غيرت موقفها المؤيد لوحدة إسبانيا، فدافعوا عن انفصال إقليم

الباسك، وفي ٢٧ إبريل ٢٠٠٥م أصبحت المنظمة ضمن المنظمات الإرهابية حسب تقرير وزارة الخارجية الأمريكية.

* المملكة المتحدة: تسيطر على ايرلندا مشكلتان رئيسيتان هما مشكلة العلاقة بين البروتستانت والكاثوليك، ومشكلة العلاقة مع انجلترا.فقد نجح الايرلنديون بعد كفاح دامت سنين طويلة في التوصل عام ١٩٢٠م إلى اتفاق مع حكومة انجلترا تم بمقتضاه الاعتراف بايرلندا كدولة إلا أن المقاطعات الست الشمالية ظلت خارج نطاق تلك الدولة. فظلت مشكلة ايرلندا الشمالية قائمة، حيث كان الوطنيون الايرلنديون يصرون على الاستمرار في الكفاح حتى تتحقق وحدة المقاطعات الست لايرلندا الشمالية. هكذا استمرت ''منظمة الجيش الجمهوري الايرلندي IRA» التي تم تكوينها عام ١٩٢٢م في العمل المسلح حتى بعد إعلان جمهورية ايرلندا عام ١٩٤٩م. وعلى منوالها تصاعدت الموجة الإرهابية في ايرلندا الشمالية والتي لا تزال مستمرة من خلال الحملة التي نظمتها الأقلية الكاثوليكية للمطالبة بحقوقها المدنية كاملة,ثم تطورت تلك الحملة لتأخذ صورة الاضطرابات وأعمال العنف مما أدى إلى تدخل القوات البريطانية عام ١٩٦٩م. وقد صاحب تلك التطورات تغيرات هامة في'' منظمة الجيش الجمهوري'' غلبت كفة الجناح المتشدد الذي يعتقد في حتمية اللجوء للعمل العسكري المسلح، وقد كثفت هجماتها على الأهداف الاقتصادية مثل المخازن والمحلات الكبيرة,كما تم تخريب العديد من المصانع واختطاف بعض رجال الصناعة، وقد لاقت تلك الإستراتيجية نجاحاً كبيراً في بداية الأمر ولكن سرعان ما خبا هذا النجاح بعد أن قامت الشرطة بتطوير وتحسين إجراءات الأمن,وكذلك بعد أن اتضح أن مثل تلك العمليات تضر بالكاثوليك مثل ما تلحق الضرر بالبروتستانت. وقد اتسم الأسلوب الإجرامي لمنظمة الجيش الجمهوري الأيرلندي والإرهاب الايرلندي عموماً خلال العشرين عاما الأخيرة بالميل إلى توجيه الضربات العشوائية دون اعتبار لأشخاص الضحايا,فأصبحت البارات والمحلات ووسائل النقل العام أهدافاً مفضلة للإرهابيين وهذا قد أدى إلى الإضرار سياسياً بالمنظمة.

* إسرائيل: تأسست إسرائيل على الإرهاب وأصبحت ممارستها له أمراً عادياً، ولا يوجد في العالم كله ما يماثلها في ممارسة الإرهاب، فقامت باغتصاب الأرض والوطن، ورأت أن هذا الاغتصاب لن يكتب له النجاح إلا بالاعتماد على الإرهاب. وقد تفوق الإرهاب

الإسرائيلي على الإرهاب النازي,في جوهر الفكرة القائمة على الإرهاب وفي تنفيذها باستخدام شتى الأدوات بما في ذلك سلطة الدولة الإرهابية. ويدل الأدب والفكر الصهيوني الإسرائيلي، وكذلك المناهج العلمية التي تدرس لطلاب المدارس الإسرائيلية، على الأعمال الفكرية التي تعبر عن الإرهاب عقيدة وواقع,والمناهج والبرامج التربوية تهدف إلى تربية الإرهاب في نفوس وعقول الناشئة في المدارس,بهدف تنشيط الذاكرة اليهودية بما حدث لآبائهم وأجدادهم في الشتات، وتظل الروح اليهودية في حالة استنفار دائم لحماية الدولة بكل الوسائل بما فيها الوسائل الإرهابية,وبذلك تمكنت الصهيونية من تحويل عدد كبير من شباب إسرائيل إلى آلات عنفيه إرهابية لا تؤمن بغير الدم والقتل طريقاً لتحقيق الهدف. وقد أدى قيام دولة إسرائيل إلى ظاهرة العنف والإرهاب في منطقة الشرق الأوسط,حيث قاد النشاط المنظم للمنظمات الصهيونية، التي اتخذت القتل والتدمير وجميع أنواع الإرهاب كهدف أساسي لاستئصال الشعب الفلسطيني من وطنه، من أجل تأسيس دولة للكيان الصهيوني ,إلى تنامي أنشطة الإرهاب. ومن أهم أبرز هذه المنظمات الإرهابية الصهيونية هي: الهاجناه الاتسل، ليحي وشتيرن، ومنظمات عديدة أخرى . فكان الإرهاب والعنف سفك الدماء وسيلة هذه المنظمات الإرهابية وغايتها لتحقيق حلم الصهيونية في إنشاء الكيان الصهيوني بدليل المجازر المتعددة وأعمال الإرهاب والقتل والتنكيل التي ارتكبتها هذه المنظمات ضد أبناء الشعب الفلسطيني في فلسطين .وبعد قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨م تأسست منظمات إرهابية صهيونية أخرى هي: حركة غوش ايمونيم، وتسمى منظمة"امانا" وهي عبارة عن رابطة تقدم الإسكان والاستيعاب في يهودا والسامرة وغزة ووادي الأردن، هذا بالإضافة إلى رابطة الأمن التي تضم يهودا والسامرة، ومنظمة ماعتس الحشمونيون وحركة الاستيلاء على المسجد الأقصى والمخلصون لجبل البيت وجمعية صندوق جبل البيت وحركة هتحيا وحركة تسومث وحركة اليمين الإسرائيلي الجديد منظمة الإرهاب ضد الإرهاب وحركة كأخ .

❋ العراق: مرَّ العراقيون في فترات متعددة من تاريخهم الطويل بأنظمة حكمتهم بالحديد والنار والرعب والإرهاب، كما أثبت العراقيون في مختلف العصور أنهم شعب صعب المراس، ولا يقبل الخضوع لأي نوع من أنواع الحكم، فاعتادوا على مقاومة الحكام بالعمل

السري، وبالمعارك العنيفة وبعمليات الإرهاب والمؤامرات وغيرها من الأساليب. ولعل أبرز مثال على جو الإرهاب الذي عاشه العراقيون في فجر الإسلام كان أثناء تولي الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق سنة ٧٥ هـ. ولقد عاصر العراقيون فترة حكم حزب البعث إرهاباً لا مثيل له في عصرنا الحالي، هذا الحزب الذي تأسس على النمط الستاليني وحول العراق إلى دولة بوليسية ذات الحزب الواحد. وعندما تسلم حزب البعث السلطة في العراق لأول مرة في عام ١٩٦٣م، كان الحزب منظمة صغيرة لا يزيد عدد أعضائها الرسميين على بضع مئات، وعندما تسلم الحزب السلطة مرة أخرى في عام ١٩٦٨م شن حملة كبيرة لاستقطاب أعضاء جدد. ولجأ الحزب لتحقيق هذه الغاية إلى أساليب الإقناع والتهديد، والإجبار على الانخراط في حزب البعث,مستهدفاً بالدرجة الأولى فئة الشباب قبل أن تتشكل انتماءاتهم السياسية والفكرية. وفي عام ١٩٩٠م، كان عدد أعضاء الحزب يتراوح ما بين حوالي ٢٥,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ عضو كامل العضوية ومليون ونصف أعضاء من ذوي الدرجة الأدنى. ولإحكام السيطرة على الشعب كان للحزب أجهزته الأمنية الخاصة به وميليشياته الخاصة به كذلك. استعمل حزب البعث الجيش العراقي لتحقيق طموحاته الإقليمية,ولإخضاع ثورات الأقليات,ولحفظ النظام في داخل العراق. كانت مهمة إخضاع الشيعة والأكراد من مسؤوليات الجيش,وقام الجيش بهذه المهمة بقسوة شديدة تفوق مستوى التهديد الذي كان يواجه النظام من هذين المصدرين .ورغم ظهور محاولات انقلابية ضد حزب البعث من قبل القوات المسلحة,فقد فشلت جميعها بسبب تحويل الجيش إلى جيش حزبي. وبين عام ١٩٦٨م وعام ١٩٨٠م قام حزب البعث بزيادة القوات المسلحة ثلاثة أضعاف حتى وصل إلى ٢٠٠,٠٠٠ رجل. وفي عام ١٩٩٠م كان عدد أفراد القوات المسلحة العراقية مليون رجل. وقد أصبحت القوات المسلحة العراقية مليون رجل. وقد أصبحت القوات المسلحة العراقية في مصاف جيوش الدول العظمى,إلا أن حزب البعث العراقي قد وظفها لخدمة مصالحه الحزبية الضيقة وأدت تلك السياسة إلى تدمير القوة العسكرية العراقية التكنولوجية وقتل أكثر من مليون من ذلك الجيش والمدنيين العراقيين عندما قرر نظام الحكم في العراق غزو الأراضي الإيرانية في عام ١٩٨٠م، ثم احتلال الكويت في عام ١٩٩٠ م، وتبع نظام البعث العراقي مختلف الأساليب القمعية من اعتقال وسجن وتعذيب وإعدام بسبب وبدون

سبب، وقد بعث الإرهاب في نفوس المواطنين الرعب والخوف، وفي كثير من الأحيان يتم اعتقال المشتبه بهم سراً في منتصف الليل تاركين عائلاتهم يترددون على الدوائر الحكومية لمعرفة مصيرهم بلا جدوى، كما يتوقع المواطنون أن تقرع السلطات البوليسية أبوابهم في أية لحظة يمارسون فيها كل أنواع التعذيب. وفي أواخر السبعينيات قام الحزب باغتيال عدد من العراقيين في بيروت والقاهرة ولندن، وفي عام ١٩٨٠م قررت قيادة الحزب اعتبار الاغتيال جزءاً من سياسة العراق الرسمية. في يناير١٩٨٨م تم اغتيال مهدي الحكيم، وهو أحد زعماء أسرة الحكيم الشيعية حيث أطلق عليه الرصاص في بهو فندق هلتون في الخرطوم في السودان. ونتيجة لذلك الحادث اضطرت العراق إلى إغلاق سفارتها في الخرطوم.

❊ باكستان: لعل من أبرز الجماعات الإرهابية في باكستان هي تنظيم القاعدة التي نشأت في عام ١٩٨٧م على يد عبد الله يوسف عزام على أنقاض المجاهدين الذين حاربوا الوجود السوفيتي في ثمانينيات القرن الماضي في أفغانستان ودول جنوب شرق اسيا. وهي تنظيمات تتبنى فكرة الجهاد ضد الحكومات، وتدعّي تحرير بلاد المسلمين من الوجود الأجنبي أيا كانت نوعية العلاقة بينهما. وتشير بعض الدراسات إلى أن هنالك عدة جهات تسعى جاهدة إلى دعم هذه التنظيمات أبرزها وكالة الاستخبارات الأمريكية سي آي أي CIA لمواجهة تمدد الاتحاد السوفيتي في قارة اسيا وغيرها من القارات الأخرى. وقد تم تدريب الآلاف من الجهاديين في معسكرات التدريب التابعة لتلك التنظيمات ليقوموا على إثر ذلك بعمليات انتحارية في عدد من المناطق التي تشهد صراعات إقليمية أو حروب أهلية. كما تهدف القاعدة إلى نهاية النفوذ الأجنبي في البلدان الإسلامية، وإنشاء خلافة إسلامية جديدة، ولتنفيذ تلك الأهداف سعت معظم التنظيمات الجهادية إلى التحالف مع التيارين المسيحي واليهودي لتدمير الإسلام والمسلمين بإيعاز من بعض القادة الأوروبيين.لذا وصفت فلسفة قيام التنظيمات المختلفة بأنها مركزية في اتخاذ القرار واللامركزية في سياستها التنفيذية، مما أدى إلى ظهور حركات لامركزية في كثير من بلدان الشرق الأوسط وقد صنفت إلى منظمات إرهابية الغرض منها تدهور الوضع الماثل في الشرق الأوسط، وتحقيق أطماع الدول الأوروبية، والحفاظ على الأمن القومي الإسرائيلي في المنطقة.

❋ الولايات المتحدة الأمريكية: بدأ فلسفة التطرف كظاهرة جديدة مع بواكير أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م فاستمرت مصطلح التطرف الديني في قائمة أولويات مختلف دول العالم سواء العظمى أم الصغرى لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت مسألة الحفاظ على الأمن القومي هي المحك الرئيس والأساسي في علاقاتها مع باقي دول العالم، خاصة دول الشرق الأوسط. وقد تجلى ذلك في خوضها على عدة حروب في أفغانستان في ٢٠٠١م، فالعراق عام ٢٠٠٣م، كل هذه الأحداث الدولية والإقليمية جعلت أمريكا تراجع وتقيم وترتب أولويات سياساتها الخارجية من جديد، مما حدأ إلى إنشاء سياسة جديدة تهدف إلى مكافحة التعصب الديني الذي بات يشكل أحد معوقات الأمن والاستقرار في العالم، كذلك سعت في ذلك للسيطرة على أسلحة الدمار الشامل، والحفاظ على ضمان الأمن القومي الأمريكي، وبالتالي يحقق الحلم الأكبر ألا وهو القضاء على الإرهاب''. وهكذا شرعت في الإجراءات العملية للسياسة الخارجية التي تمثلت في التوسع في القيام بالحروب الاستباقية والوقائية وتقسيم العالم إلى أصدقاء وأعداء، وبلورة ما كان يسمى بمحور الشر وعزله، والتركيز على منطقة الشرق الأوسط كمسرح وساحة لصراعاتها الخارجية.

❋ نيجيريا: حركة بوكوحرام: لقد جاء صعود جماعة ''بوكو حرام'' معبراً عن حالة الوهن والفساد التي أصابت الحكم الإسلامي في شمال نيجيريا، والتي أدت إلى تزايد الإحباط والاغتراب لدى أجيال من أبناء المسلمين في هذا الإقليم. فهي جماعة تنتمي إلى ولاية بورنو التي تقع في قلب ما كان يعرف بإمبراطورية ''كانم بورنو'' حيث تعرضت هذه الولاية لمجموعة من العوامل التي حولتها إلى بيئة خصبة لنمو الجماعات المتطرفة، حيث عانت هذه الولاية من التهميش خلال العهد الاستعماري مما دعا بعض الرموز إلى اعتناق أفكار المهدية التي نظر إليها المستعمرون البريطانيون باعتبارها مهددة لوجودهم، وخصوصاً فى ظل تعبيرات قادة بورنو المبكرة للنزوع نحو الحكم الذاتي، فى الوقت الذي دعمت فيه بريطانيا الخلافة فى سوكوتو حيث أقام ''عثمان دان فوديو'' خلافة إسلامية في ولاية عام ١٨٠٩م وتم طرد قادة بورنو من الإقليم وتعرض أتباعهم للاضطهاد فكانت النتيجة هي استبعاد شباب المسلمين في بورنو من دوائر السلطة المحلية، ومن المشاركة في

مفاوضات الاستقلال[١٤٧]. وخلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي تصاعدت أعمال العنف في الولاية بين جيل من الشباب والحكام العسكريين وقادة الإمارة الذين تحالفوا مع الحكومة الفيدرالية، الأمر الذي أدى إلى تآكل الشرعية السياسية والثقافية لمجتمع الإمارة في بورنو[١٤٨]. ومع وصول ساني أباتشا إلى الحكم في منتصف التسعينيات حاول إضعاف الحكم الإسلامي في ولايات الشمال، ومع وصول أوباسانجو كرئيس مدني للجمهورية في نيجيريا في عام ١٩٩٩م تحولت القوة السياسية للجنوب بعد عقود من الحكم العسكري الذي كان يسيطر عليه في الغالب قادة من الشمال.ووسط هذه التطورات السياسية بدأت النخبة المسلمة في الشمال تشعر بخيبة أمل في المشاركة والتأثير السياسي، وفي أواخر عام ١٩٩٩م وحتى عام ٢٠٠٢م، نجحوا في تطبيق الشريعة الإسلامية في ١٢ ولاية، حيث كان انتشار الفساد والتحلل الأخلاقي قد دفع مجموعة من شباب السياسيين إلى الإعلان عن رغبتهم في العودة إلى الحكم الإسلامي، ولكن بعيداً عن فكرة الإمارة التي كانت قائمة في بورنو والتي اتسمت بفساد الحكام[١٤٩]. وفي عام ٢٠٠٤م انقطعت علاقات مجموعة من الشباب المسلمين بالسلطة السياسية في الشمال، وخرجت حركة جديدة معبرة عن احباطاتهم الاقتصادية والسياسية والدينية تمثلت في حركة «بوكو حرام».وكان مسلحو بوكو حرام، قد وسعوا نطاق حملتهم لتصل إلى الكاميرون بغية إقامة ما يصفونها» بدولة إسلامية».وحينها سيطرت الحركة على عدد من البلدات والقرى في شمال شرقي نيجيريا[١٥٠]. وعلى الرغم من أن نيجيريا تعتبر من أكبر الدول المنتجة للنفط في العالم حيث تحتل المرتبة الأولى في إنتاجه والمرتبة الثالثة عشرة دولياً، فإن تقديرات مؤشرات التنمية البشرية ونوعية الحياة منخفضة جداً، خصوصاً في الشمال الذي يمثل كتلة من الأمية والجهل والفقر، حيث تنخفض تقديرات التنمية في هذا الإقليم عن المعدلات الوطنية[١٥١]. وقد وصلت أمراض الكوليرا والطاعون التي تم القضاء عليها في العالم كله مع بداية القرن العشرين إلى مستويات وبائية في شمال نيجيريا خلال الشهور الأخيرة، حيث تسببت في مقتل مئات الأشخاص نتيجة نقص

١٤٧ - عباس(١٩٧٨م).ص٣٣.
١٤٨ - حسن (١٩٩٢م).ص١٢٣.
١٤٩ - أفريك (٢٠٠٩م).ص٢٩.
١٥٠ - BBC(٢٠٠٩):p٢٦.
١٥١ - عباس(١٩٧٨م).مصدر سابق.ص٣٤.

المياه الصالحة للشرب .كما تعاني معظم ولايات الشمال من انتشار الأمية والأوبئة المعدية، ففي ولاية بورنو ٩٥٪ من السكان لا يستطيعون القراءة والكتابة، وأقل من ٢٪ من السكان يحصلون على الصحف، ويبدو أن حكام الولاية يستخدمون الأمية كسلاح سياسي، وكان الاستعمار البريطاني قد حرص على منع انتشار التعليم الغربي في الشمال، لتجنب تهديد المتعلمين لمصالح المستعمرين[١٥٢]. كما أدت ضربات الجفاف والتصحر التي اجتاحت شمال نيجيريا خلال السنوات الأخيرة إلى انهيار المجتمعات الزراعية، وزحف أعداد هائلة من اللاجئين نحو الدول المجاورة، الأمر الذي إلى تدمير مساحات زراعية واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، ومن ثم وصلت أعداد العاطلين عن العمل إلى الملايين معظمهم من الشباب، وبمرور الزمن أصبحوا يمثلون مصدراً للتجنيد ضمن المنظمات المتطرفة في ظل انتشار البطالة،كما شهدت ولايات الشمال النيجيري موجات من العنف، بدأت مع الجمهورية الثانية التي طبق خلالها الرئيس إبراهيم بابان جيدا برنامج التكيف الهيكلي الذي أدى إلى إلغاء إعانات الدولة، ومن خلال تحرير التجارة تم القضاء على الصناعات المحلية وخصوصاً صناعات النسيج والمدابغ الكبرى في الشمال، ومن ثم التحجيم على فرص العمل، هذا فضلاً عن تسييس نظام بابان جيدا للدين، والذي أعطى الانطباع بأن هذا النظام يعمل على تحقيق مصالح خاصة للمسلمين مما أثار الشكوك الطائفية[١٥٣]. كل هذه الأحكام أدت إلى فشل الدولة في حماية مواطنيها فاتخذوا الدين كوسيلة لتفسير الواقع الاجتماعي، وأصبحت الطبقة السياسية منغمسة في البحث عن تحقيق أهدافها الذاتية حيث لم تنسجم أولويات النخبة السياسية في نيجيريا مع واقع مواطنيها.وفي ظل هذا الوضع المأسوي ظهرت جماعة بوكو حرام كنتيجة من نتائج فساد حكم النخبة السياسية في الشمال وفشل الدولة وعدم قدرة مؤسساتها على القيام بأدوارها، وخصوصاً الأجهزة الأمنية، فالسهولة التي يهاجم بها المسلحون السجون والوكالات الفيدرالية منذ عام ٢٠٠٥م تشير إلى تراجع قوة الدولة، وعلى إثرها ظهرت حركات تمرد صغيرة مثل حركة تحرير دلتا النيجر وعصابات الخطف في الجنوب الشرقي، مما دفعت حركة بوكو حرام إلى استقطاب مجموعة من الشباب الساخطين حيث تقدم لهم دروسا دينية عن الأوضاع المتردية في نيجيريا عامة

١٥٢ - الجميل(١٩٧١م).ص٣٣.

١٥٣ - نجم الدين(١٩٨٩م).ص٢٣٤.

وفي الشمال على وجه الخصوص، وترى أن الدولة تستند إلى قوانين بعيدة عن الشريعة الإسلامية، وتنشر التعليم الغربي في أنحاء البلاد، وتعمل على تكريس الحداثة في المجتمع الإسلامي، فتلقى بوكو حرام باللوم على الحكومة النيجيرية، وعلى التعليم الغربي، والوجود المسيحي. كما تضفي على أعضائها الشعور بأهمية الهدف والرسالة باعتبارهم مجاهدين في سبيل الله يسعون لتطهير المجتمع من المفاسد الأخلاقية وبناء دولة الشريعة. وعلى الرغم من الثروات الطبيعية الهائلة التي تمتلكها نيجيريا إلا أن الوضع السياسي يزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وعلماء الدين مع مكانتهم العلمية لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً، وفي تلك الظروف ظهر العالمُ الجليل الشيخ إبراهيم يعقوب الزكزكي الذي وقف جاهداً يطلب الإصلاح لإنقاذ الأمة من قبضة الظالمين والمستبدين إلا أنه لم يفلح. وهذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها الجماعة مصطلح «الخلافة الإسلامية» التي بموجبها شنت حملة عنيفة في عام ٢٠٠٩م على أبوجا العاصمة ومدينة داماتورو عاصمة ولاية يوبي، وهو أول تسجيل مصور تبثه الجماعة المتشددة بقيادة شيكاو، بعد التفجيرات الانتحارية

في «داماتورو» التي قتل فيها أكثر من ١٧ شخصًا[١٥٤]. ثم توالت الهجمات على دامبوا، وأضاف شيكاو قائلاً: «نحن في دولة الخلافة الإسلامية، وليس لنا علاقة بنيجيريا، ونحن لا نؤمن بهذا الاسم». وأفاد الموقع أن التسجيل المصور، «يظهر مشاهد من المجازر التي ارتكبتها عناصر الجماعة ضد المدنيين العزل»، كما يظهر الفيديو، الذي وصفه بأنه «الأبشع» منذ أن بدأت بوكو حرام تقليد البث الدوري لرسائل مصورة «جنودًا نيجيريين يفرون من مسلحين يدنون لهم».وأشار الموقع إلى أن زعيم الجماعة الإسلامية في نيجيريا، الذي وصفه بـ»الزئبقي» استخدم مثل هذه اللقطات «لغرس انطباع بشأن تهديد شرس متهور لا يرحم، ويبدو أنه صمم الفيديو الحالي لجذب الحد الأقصى من الانتباه العالمي إلى جماعته، كما أن إعلانه لدولة الخلافة في أفريقيا دليل على تشابه أسلوب تنظيم (الدولة الإسلامية) السنية في سوريا والعراق، الذي أصبح في طليعة الجماعات الإرهابية الطائفية بعد إعلان مطامحه لتأسيس دولة إسلامية في منطقة الشام. ويرى بعض المراقبين أن «شيكاو» لم يذكر ما إذا كانت خلافته، هي جزء من دولة الخلافة التي أعلنها مؤخرًا

١٥٤ - أفريك(٢٠٠٩م).ص٢٩.

تنظيم «الدولة الإسلامية» في أجزاء من العراق وسوريا، لأن الإحصاءات أو المشاهدات الميدانية لا تدل على وجود أعداد ملحوظة من الجهاديين الأفارقة في صفوف داعش في العراق أو على الأراضي السورية، غير أن هنالك تقارير إخبارية منفصلة تحدثت عن اعتقال جهاديين في أوروبا لهم ارتباطات بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أو جماعة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا والتي سيطرت على مالي، وبتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام. لكن لم تشر أية تقارير إلى علاقة محتملة بين داعش وبوكو حرام النيجيرية، لاسيما بسبب البعد الجغرافي وانشغال كل تنظيم بمنطقته، وحتى الاختلاف الفكري بين التنظيمين، إذ يبدو جليًا نقص العلم الشرعي لدى التنظيم الأفريقي، في حين أن داعش تمتلك من الكوادر والمؤهلات ما يسمح لها بصياغة منظومات فكرية متكاملة بلا تناقض ظاهري مع النصوص. فبوكو حرام كحركة تمرد محلية، تحولت إلى حركة تهديد إقليمي ودولي لها مصالحها الخاصة، خاصة بعد مبايعتها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، ويرى الخبراء أن تلك البيعة بمثابة تنبيه للولايات المتحدة ودول أخرى في المنطقة أن أمنها القومي لازال مهدداً خاصة عندما فشلت الحملة العسكرية للجيش النيجري في استئصال الجماعة، بسبب ضعف القوات وقلة العتاد، حتى باتت الجماعة تهدد الدول المجاورة كتشاد والنيجر ومالي وموريتانيا والكمرون، بالإضافة إلى دول الأطلسي. وكانت الجماعة قد شنت غارة على قاعدة عسكرية كاميرونية وخطفت زوجة أحد نواب رئيس الوزراء، كما وقامت الجماعة بتجنيد رعاة ومزارعين في النيجر، وأغلقت طرق تجارة رئيسية في تشاد، التي وصف رئيسها إدريس دبي المجموعة «بالتهديد الدائم»[١٥٥]. مما دفع الرئيس النيجيري إلى إقرار ضمني بأن الوقت قد حان للسماح بغارة أجنبية على أراضيها، وأشارت إلى ضرورة تدريب الولايات المتحدة الأمريكية للقوات التشادية من أجل محاربة بوكو حرام التي تعتبرها واشنطن مهدداً إرهابياً في أفريقيا. وحول هجوم جماعة بوكو حرام، تقول صحيفة لواشنطن بوست: إن عدد الذين قتلوا وشردوا يتراوح فيما بين ٥ آلاف و٢٥ ألفاً، ويشير الخبراء في هذا الشأن إلى أن العدد الأول هو الأقرب للصحة، ونقلت عن بيتر لويس رئيس قسم الدراسات الإفريقية بمدرسة جون هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة قوله:» من الصعب تحديد المرحلة النهائية لجماعة بوكو حرام، على ضوء

١٥٥ - سميث(٢٠٠٩م).ص٢٢.

قدرتها التي أظهرتها في المعارك، هذا بالإضافة إلى التكيف مع الظروف البيئية». وأضاف لويس» أن بوكو حرام ليست منظمة موحدة ومتناسقة، بل هي سلسلة من الفصائل المتحالفة،ولكل فصيل زعيم ومجموعة مسلحة مختلفة». ونقلت الصحيفة عن عديد من الخبراء قولهم: إن الجماعة قد تعرضت بالفعل لضربة موجعة من جيوش الدول المجاورة، في حين يرى آخرون أن رسالة البيعة التي وجها أبوبكر شيكاو إلى أبوبكر البغدادي زعيم تنظيم الدولة الإسلامية ما هي إلا إشارة على بوادر يأس، وبقراءة أخرى إشارة إلى نقل الحرب إلى أفريقيا. كما نقلت واشنطن بوست عن مارتن روبرت المحلل بشركة» أي أتش أس» المختصة بتزويد معلومات لصناع القرار في أميركا أن بيعة شيكاو هي نداء استغاثة على الأقل، في ظل فقدان الجماعة الهيمنة على عدة مناطق سكنية كانت في حوزتها منذ بداية استيلائها على المناطق الشمالية[١٥٦].

ومن ناحية أخرى، نظر مسئولو المخابرات الأميركية إلى بيعة شيكاو للبغدادي بعين الشك، مشيرين إلى غياب التعاون على روابط التعايش السلمي المجموعتين، وأن بوكو حرام دائماً ما سعت للاستفادة من الدعاية التي توفرها لها منظمات إسلامية بارزة مثل تنظيم الدولة. وتقدم جماعة «بوكو حرام» وجهاً مرعباً للواقع القائم في شمال نيجيريا، فهي عرض من الأعراض الناتجة عن عقود من فشل الحكومة وجنوح النخبة في ظل الفوضى الاجتماعية. وبتسارع الأحداث أعلنت صحيفة واشنطن بوست الأميركية وغيرها من الصحافة الغربية على تصاعد وتيرة القتال ضد جماعة بوكو حرام النيجيرية، وقد تشكلت قوة أفريقية بالتعاون مع المجتمع الغربي حيث عبرت قوات تشادية ونيجرية الحدود إلى شمال شرقي نيجيريا لمحاربة الحركة المتمردة فتحولت المشكلة النيجيرية إلى صراع إقليمي ودولي. فبوكو حرام هي جماعة إسلامية نيجيرية سلفية جهادية مسلحة تأسست الجماعة عام ٢٠٠٢م على يد محمد يوسف، وهو شاب نيجيري ترك التعليم في سن مبكرة، وحصل على قدر من التعليم الديني غير النظامي. وقد تشكلت الجماعة في الأصل من مجموعة من الطلاب الذين تخلوا عن الدراسة, فأقاموا قاعدة لهم في قرية كاناما بولاية يوبه شمال شرقي نيجيريا على الحدود مع النيجر أطلقت على نفسها جماعة أهل السنة

١٥٦ - أفريك (٢٠١١م).ص٣٩.

للدعوة والجهاد... والمعروفة بالهوساوية "التعاليم الغربية حرام"، تتبنى العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع ولايات نيجيريا[157]. أما اسم بوكو حرام فيتألف من كلمتين الأولى بوكو وتعني بلغة الهاوسا «التعليم الغربي»، وحرام وهي كلمة عربية، فبوكو حرام تعني «منع التعليم الغربي»[158]. ومن تعاليمه الدعوة إلى الشريعة الإسلامية وتغيير نظام التعليم، حيث يقول: «هذه الحرب التي بدأت الآن سوف تستمر لوقت طويل»[159]. أيضاً رفض الاندماج مع الأهالي المحليين في باوتشي، ورفض التعليم الغربي والثقافة الغربية. وفي ٢٠٠٤ كانت الحركة تضم نحو مائتين شاب مسلم، بينهم نساء ومنذ ذلك الحين بدأت تخوض من حين لآخر مصادمات مع قوات الأمن في بوشي ومناطق أخرى بالبلاد. وبعد موت زعيمها بواسطة الجيش النيجيري تولى من بعده شيكاو.

ولد أبوبكر شيكاو في جمهورية النيجر، بقرية "شيكو"، والتي يعتمد سكانها على الزراعة وتربية الماشية، في شمال شرق ولاية يوب، ودرس الشريعة واللاهوت، وعمل كمترجم لشركة متخصصة في التوحيد، ويجيد لغته الكانوري والفولاني فضلاً عن لغات الهوسا والعربية. وهو الرجل الثاني للجماعة حتى شهر يوليو ٢٠١٠م، حيث أعلن شيكاو بأنه قائد بوكو حرام الذي هدد بمهاجمة المصالح الغربية في نيجيريا حيث أصدر شيكاو بياناً عبر فيه عن تضامن جماعته مع تنظيم القاعدة في أفغانستان مهدداً الولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: "لقد نمت القدرات التشغيلية لبوكو حرام تحت قيادة شيكاو"[160]. وفي ١٣ نوفمبر ٢٠١٣م عرضت الولايات المتحدة الأمريكية مكافأة مالية قدرها ٧ ملايين دولار للقبض على شيكاو، بعدما أدرجت في وقت سابق جماعة بوكو حرام كجماعة إرهابية متطرفة يجب ملاحقتها، في حين عرضت الحكومة النيجيرية ٥٠ مليون نايراً مكافأة لاعتقاله، ليكون شيكاو من المطلوبين في نيجيريا. ومع بزوغ نجمه في نيجيريا شمال البلاد الذي تقطنه أغلبية مسلمة طالب بتطبيق الشريعة الإسلامية كمصدر للحكم في البلاد. علما بأن الاتحاد النيجيري في الجنوب يتكون من المسيحيين والوثنيين . ويشرح المحلل كريس نغوودو من مجلة» Think Africa Pressبأن ظهور حركة

١٥٧ - أفريك(٢٠٠٩م).ص٢٩.
١٥٨ - سميث(٢٠٠٩م).ص١٧
١٥٩ - أفريك(٢٠٠٩م).ص٢٦.
١٦٠ - سميث(٢٩٩٩م).٢٩.

بوكو حرام يعكس بجلاء نضوج العقول المتطرفة للواقع الاجتماعي النيجيري، والتي كانت ظاهرة منذ فترة طويلة في شمال نيجيريا''. وذكرت وزارة العدل الأميركية أن شيكاو ولد فيما بين العام ١٩٦٥–١٩٧٥ في قرية من المزارعين ومربي المواشي قرب الحدود مع النيجر في ولاية يوبي. وقد درس الفقه لدى رجال الدين المحليين في مايدوغوري عاصمة ولاية بورنو المجاورة[١٦١]،وفي تلك الحقبة تعرف على الداعية محمد يوسف مؤسس بوكو حرام قبل أكثر من ١٠ سنوات. وقرر شيكاو الانتماء إلى الحركة التي أطلقها يوسف وجذبت الشباب العاطلين عن العمل في مايدوغوري متهما القيم الغربية التي أتت مع الاستعمار البريطاني بأنها مسؤولة عن الصراع في نيجيريا. وترتكز الملامح الفكرية لجماعة بوكو حرام حول عدد من الأصول الفكرية، أهمها العمل على تأسيس دولة إسلامية فى نيجيريا بالقوة المسلحة، والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى جميع الولايات النيجيرية، وكذلك عدم جواز العمل فى الأجهزة الأمنية والحكومية فى الدولة.كما أن الجماعة ترفض بشدة التعليم الغربي والثقافة الغربية، وتدعو إلى تغيير نظام التعليم فى نيجيريا, وعدم الاختلاط بالمجتمع الجنوبي المسيحي، وتفضل الانعزالية بشكل عام، وعلى ما ذكر فإنهم يهددون كل ما لا يوافق ملامحهم الفكرية والعقائدية. وهنالك عدة عوامل أدت إلى تنامى الجماعات المسلحة وزيادة نشاطها في أفريقيا عامة وفي نيجيريا على وجه الخصوص منها: سياسات الحكومات العسكرية والمدنية المتعاقبة فى نيجيريا والتي تستخدم العنف المفرط تجاه الحركات السياسية المناوئة لها، خاصة جماعة بوكو حرام التي استطاعت أن تكسب العديد من الأنصار فى أوساط الشباب المسلم، كما استطاعت أن تكتسب تعاطف بعض المسلمين بسبب عمليات القتل البشعة والخارجة على القانون، والتي ارتكبتها الشرطة النيجيرية فى حق أعضاء جماعة بوكو حرام، مما خلق نوعاً من التعاطف تجاه الجماعة لتقديم يد العون والمساندة لها.كما يلعب البعد العرقي والإثني والقبلي دوراً كبيراً فى تنامي جماعة بوكو حرام، حيث تتشكل نيجيريا من قبائل لها إرثها الثقافي والفكري غير أنهم يختلفون في العادات والتقاليد، هذا إلى جانب تأثير البيئة الطبيعية، ، فكثيراً ما تحدث اشتباكات دينية وعرقية بين الإثنيات القبلية والمجتمعية. لذلك تعتبر جماعة بوكو حرام نفسها مدافعاً عن حق الإسلام والمسلمين ضد

١٦١ - سميث(٢٠٠٩م).ص٣٣.

المسيحيين، ومما يعطى الأمر نوعاً من التعاطف تدهور الحالة الاجتماعية وتفشي الجريمة الجنسية خاصة بين أبناء المسلمين. أضف إلى ذلك كله تردى الوضع الاقتصادي، وانتشار البطالة والفساد الموجود فى النخبة السياسية. ومما زاد الأمر سوءا استغلال بعض السياسيين الانقسامات العرقية والطائفية من أجل الوصول للسلطة، وذلك عن طريق إثارة الاضطرابات العرقية والدينية، مما أعطى الفرصة للتيارات الدينية المتطرفة كي تنشط بقوة، على أساس أنها تدافع عن دينها وعقيدتها. ومن خلال ما ذكر يمكن تلخيص فكر الجماعات الدينية المتطرفة في الآتي:

١. الحكم على المجتمعات بالجاهلية والكفر لعدم تطبيق شريعة الله واللجوء إلى تشريع البشر عند وضع القوانين.

٢. الهجرة من ارض الاستضعاف الى أماكن جديدة يمكن فيها تكوين نواة للمجتمع المسلم ثم العودة لإقامة المجتمع المسلم فى الدولة وان كان هناك بعض الجماعات تنادى باعتزال المجتمعات الحالية والتبرؤ منها.

٣. الجهاد المسلح لتقويض أركان النظام الحاكم وإقامة المجتمع المسلم محله.

أسباب ظهور وانتشار الجماعات المتطرفة : هناك مجموعة من الأسباب ساهمت متضافرة فى ظهور التنظيمات المتطرفة نوجز بعض منها فى الاتى:

١. عزوف القيادات الإسلامية وسلبية القائمين على شئون الدعوة والإرشاد للدين الإسلامي أدي إلى إن تصبح الساحة خالية لفكر ومعتقدات هذه الجماعات.

٢. الزيادة الواضحة في النشاط التبشيري المسيحي وزيادة التعصب المسيحي الذي تدعمه بعض الأنظمة والحكومات لدول من خارج المنطقة العربية من العوامل التي ساعدت على ظهور الجماعات الإسلامية المتطرفة على الساحة العربية.

٣. ظهور الفكر اليساري في فترة من الفترات وسيطرة اليساريين على بعض المراكز الهامة كالجامعات وتغلغل الفكر الإلحادي بين الطلبة مما أدى إلى ظهور الفكر الإسلامي ليواجه هذا الاتجاه وخصوصا مع تدعيم الأنظمة الحاكمة له ليواجه تغلغل الشيوعيين.

٤. نجاح الثورة الإسلامية فى إيران بقيادة الإمام الخميني أعطى الجماعات الإسلامية المتطرفة الأمل فى تكرار هذا النجاح في أماكن أخرى من خلال أسلوب عمل الخلايا السرية.

٥. أحكام البراءة التي حصلت عليها بعض الجماعات الدينية فى بعض الدول شجعت

هذه الجماعات على الاستمرار في نشاطها بل وزادتها جرأة وخبرة في الممارسة.
مظاهر اختلاف التطرف الديني عن صور الإرهاب:

١. التمويل: عادة يتم تمويل الجماعات الدينية من التبرعات التي يتم الحصول عليها من الأعضاء أو المؤيدين لفكر الجماعة من خارج البلاد وداخلها . أما تمويل المنظمات الأخرى فيعتمد أساساً على السطو المسلح على البنوك واحتجاز الرهائن لطلب الفدية والدعم المادي لبعض أنظمة الحكم الأجنبية ونادرا ما تعتمد على أموال المؤيدين والمتعاطفين معها.

٢. الدافع الديني : الدافع لدى الجماعات الإسلامية جميعها هو إقامة المجتمع المسلم وتطبيق شريعة الله إما دافع المنظمات الإرهابية هو السيطرة على الحكم عن طريق بث الفوضى والذعر بين المواطنين.

٣. العلنية والإعلان : يتميز ظهور الجماعات الدينية بالعلنية والإعلان عن أفكارها بهدف كسب الأعوان أما المنظمات الإرهابية فدائما ما تختفي تحت الأرض في عناقيد صغيره ولا تظهر الا عند حدوث العمل الارهابي

الأساليب المستخدمة في تنفيذ العمليات الإرهابية : بالرغم من أن العبوات الناسفة هي أكثر الوسائل استخداما في العمليات الإرهابية إلا انه هناك أساليب أخرى محددة تتبعها كل المنظمات لتنفيذ عملياتها مثل:

❋ اختطاف الطائرات : بدأت عمليات اختطاف الطائرات من أفراد أصابهم اليأس بسبب إحساسهم بالظلم العميق نتيجة تعرض حقوقهم وأوطانهم للضياع .وكان الخاطفون يحرصون على ان تكون عملياتهم بدون اراقة لدماء الأبرياء الذين يتصادف سفرهم بالطائرات كما كانوا يحرصون على ان يعلنوا عن أنفسهم وعن أهدافهم . تطور الأمر فأصبح المختطفون يجاهرون بطلب فدية مالية ضخمة او إطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين في السجون أو أعضاء الجماعات والمنظمات الإرهابية السابق اعتقالهم في عمليات سابقة، وأصبح العنف والقتل هو أسلوب تفاوض الإرهابيين مع سلطات الدولة لتحقيق رغباتهم . بالرغم من إجراءات الأمن الصارمة في جميع مطارات العالم لمنع القرصنة الجوية الا ان عمليات اختطاف الطائرات لم تتوقف بل في زيادة مستمرة وأصبحت أهم الأساليب المستخدمة في العمليات الإرهابية. وهنالك نوعا آخر من القرصنة يمكن ان نطلق عليه القرصنة البحرية ففي الفترة من ١٩٦٥م حتى سنة ١٩٨٥م وقعت ٤٧

حادث إرهاب في البحر غرق فيها ١٢ سفينة واختطفت ١١ سفينة أخرى . ولعل أول حوادث القرصنة البحرية فى السنوات الأخيرة ما حدث فى عام ١٩٦٣م عندما اقتحم ٧٠ بحاراً برتغالياً، وسفينة ركاب برتغالية تقل خوالي ٦٠٠ راكباً فاحتجزوا السفينة والرهائن لمدة ١١ يوماً، وعندما فشل الخاطفون فى تحقيق مطالبهم لجاؤا حيبنئذا إلى الآتي:

❊ الاقتحام المسلح للاماكن العامة واحتجاز الرهائن: يهدف الإرهابيون في معظم عمليات الاقتحام المسلح للاماكن واحتجاز الرهائن الى الحصول على الأموال كفدية لتمويل منظماتهم وأمثلة على ذلك: عملية اقتحام مقر منظمة الدول المصدرة للبترول(الأوبك) فى فينا بالنمسا عام ١٩٧٥م واحتجاز احد عشر وزيراً للبترول وكان المخطط والمنفذ لها الارهابى كارلوس وان كان اسم المنظمة التي أعلنت مسئوليتها عن العملية (منظمة ذراع – الثورة العربية) وقدرت الفدية التى حصلوا عليها ٢٥ مليون دولار مقابل الإفراج عن الرهائن. واقتحام إفراد من منظمة الجيش الأحمر اليابابي للقنصلية الأمريكية فى كوالامبور عام ١٩٧٥ م واحتجاز العاملين فيها وبينهم القنصل الامريكي والقائم بالإعمال السويدي ولقد استجابت الحكومة اليابانية لمطالب المنظمة بالإفراج عن بعض أعضاء المنظمة المسجونين وسلمتهم ستة ملايين دولار وجهزت لهم طائرة خاصة نقلوا بها إلى طرابلس فى ليبيا مقابل إطلاق سراح الرهائن

❊ الاختطاف بغرض طلب الفدية : كثيرا ما تقوم الجماعات والمنظمات بهذه العمليات بغرض الحصول على الأموال لتمويل عملياتها وفى بعض الأحيان تقوم العصابات بمثل هذه العمليات بغرض طلب الفدية.

ونذكر على سبيل المثال: اختطاف وتعذيب الكولونيل (بوهى باك) القائم بأعمال رئيس كنيسة التوحيد وصاحب جريدة (واشنطن تايمز) فى شهر سبتمبر سنة ١٩٨٤ م وإطلاق سراحه بعد دفع مبلغ مليون دولار. واختطاف وقتل الزعيم الايطالى (الدومورو) سنة ١٩٧٨ فى اعنف مسلسل ارهابى قامت به منظمة الألوية الحمراء الايطالية. وخطف ابنه رئيس السلفادور واحتجازها لمدة ٤٤ يوما للضغط على رئيس الدولة لاتخاذ قرارات معينة. أما حادث احتجاز أفراد السفارة الأمريكية في طهران والذي استمر لفترة طويلة جدا وأخفقت عملية التحرير المنطلقة من مصر بطائرات أمريكية فشلا ذريعا ولم يفرج عنهم الا بالحوار فكانت له أسباب سياسية بحته.

الحلول

ان أفضل الطرق لمواجهة مشكلة التطرف هي:

❋ إنهاء حالة التفرد السياسي الذي تمارسه كثير من الحكومات والأنظمة والتوقف عن سياسة القمع وتكميم الأفواه ,والتوجه لفتح أبواب الحريات المسئولة في كافة الجوانب. وإذا كانت بعض الأطراف الخارجية تتحدث عن الإصلاح السياسي كضرورة تخدم مصالحها, فإن مصلحة الأمة وشعوبها,بل وحتى حكوماتها, أن تباشر عملية إصلاح ذاتية حقيقية , وأن تقنع الجميع بأن إمكانية التغيير والإصلاح بالوسائل السلمية متاحة. وان يتم ذلك دون تأخير أو إبطاء.

❋ معالجة الاختلال الاقتصادية والاجتماعية,وتقليص الفجوة الآخذة بالاتساع بين أغلبية مقهورة ومسحوقة في المجتمعات العربية, وبين أقلية مستنفذة تسيطر على الثروات والمقدرات والدخول. لاسيما أن قناعة تسود لدى أوساط شعبية واسعة بأن الفساد واستغلال المناصب والمواقع للإثراء غير المشروع هي التي تقف وراء ما تتمتع به نخبة مهيمنة محدودة من مكتسبات.

❋ إعطاء استقلالية حقيقية لمؤسسات التوجيه الديني, والتوقف عن توظيفها كأداة لحشد التأييد لتوجهات السلطة السياسية, كي تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية والتثقيف الديني والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطئ للإسلام.

❋ التوقف عن وضع جميع الحركات الإسلامية في كفة واحدة ومناصبتها جميعها العداء بشكل أعمى، ودون وعي أو تمييز، وإدراك أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه الحركات الواعية في مواجهة الفهم الخاطئ.

❋ الحذر من دعم مظاهر التطرف العلماني في مواجهة التطرف الديني فكلا المتطرفين نتائجه خطيرة على المجتمعات العربية والإسلامية، وتنامي الواحد يستفز الآخر ويعمل على تفعيله.

❋ وقف التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين في الغرب سواء من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بعض النخب السياسية الفكرية والدينية لأن من شأن هذه التصريحات العدائية أن تستفز غضب العرب والمسلمين وتولد مشاعر غضب شديدة.

❋ قيام مؤتمرات دينية عالمية: تعتبر منظمة ''الأديان من أجل السلام'' الائتلاف الأكبر في العالم ما بين الأديان السماوية حيث يتمتع بحضور في أكثر من ٩٠ بلدا. ويهدف

المؤتمر إلى فهم دوافع التطرف الديني العنيف وتحديد ماهية المقدرات في كل الأديان المعنية من أجل مكافحة هذا التهديد الذي يواجه البشرية. واتفق المشاركون اتفاقا تاما على أن هذا هو الوقت المناسب للعمل ضد التطرف الديني. وكان من أبرز المشاركين الشيخ عبدالله بن بيه رئيس "منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة" والرئيس المشارك لمنظمة "الأديان من أجل السلام" والكاردينال جون أونايكان رئيس أساقفة أبوجا في نيجيريا والرئيس المشارك لمنظمة " الأديان من أجل السلام" وناصر عبد العزيز الناصر الممثل السامي لـ "الأمم المتحدة لتحالف الحضارات" والدكتور ويليام فندلي الأمين العام لمنظمة "الأديان من أجل السلام". وقد أشار المشاركون إلى أن أحد أهم السبل إلى إلحاق الهزيمة بالتطرف هو مقدرات القادة الدينيين على تثقيف وحشد الجموع ضد التطرف. كما اتفق القادة الدينيون الذين يمثلون كافة الأديان على أن واجبهم المقدس في هذه الحرب على التطرف الديني يشمل استخدام معرفتهم ونفوذهم لتزويد أتباعهم بالشروح الصحيحة للنصوص الدينية. وصرحوا بأن النصوص الدينية من الديانتين اللتين ينتميان إليهما لابد من أن يعاد تأويلها من جديد بحيث تكون قابلة للتطبيق على الظروف السائدة في العصر الحديث. وذكر الشيخ بن بيه أن التطرف تغذيه الأفكار الخاطئة وسوء فهم للشريعة، ومضيفاً أن من مسؤولية العلماء أن يساعدوا أتباع ديانتهم على فهم النصوص. وقال الكاردينال أونايكان " إن الإنجيل موجود لآلاف السنين لكن كل جيل قام بتفسير الإنجيل بطريقة تعكس احتياجاته الخاصة فيجب على المسيحيين التعامل مع التأويلات بحذر.

فإذا أردنا أن نكافح التعصب والتطرف والإرهاب الديني علينا الأخذ بالاعتبارات التالية:

١. عدم تمويل المجموعات الدينية المتطرفة لان مساندة هذه المجموعات يتيح لها أن تنمو وأن ترتكب المزيد من ألإعمال الإرهابية في المستقبل.

٢. إضعاف حوافز التطرف الديني العنيف من خلال تعزيز ثقافة التسامح والاحترام المتبادل والعمل على إزالة كافة أشكال القهر والعنف الهيكلي.

٣. العمل على تطوير مؤسسات مستقرة قادرة على تقديم خدمات أساسية بغية إضعاف الحوافز الاجتماعية والاقتصادية للتطرف الديني.

٤. تعزيز سياسات تطوير المجتمعات المدنية وتقويتها لإضعاف سطوة الحوافز النفسية

التي تدفع الناس إلى العمل مع المجموعات المتطرفة.

٥. دعم نشاط المجموعات الدينية والهيئات المتعددة الأديان بما في ذلك المجموعات النسوية والشبابية في المجتمع المدني لمقاومة التطرف الديني.

وفي إطار الأمم المتحدة على الدول الأعضاء تطبيق القرارات التالية:

١. إلزام الدول الأعضاء بجميع قرارات مجلس الأمن فيما يتصل بمحاربة التطرف الديني.

٢. إلزام الدول الأعضاء بتحقيق كل أهداف الألفية التنموية وأهداف التنمية المستدامة لما بعد عام ٢٠١٥ من أجل المساعدة على إزالة كل المحفزات الاجتماعية والسياسية التي تدفع ضعاف النفوس نحو التطرف العنيف.

٣. على الأمم المتحدة بما في ذلك بشكل رئيسي تحالف الحضارات التابع للأمم المتحدة أن تيسر للحكومات وآخرين من ذوي المصالح أن يشكلوا تحالفات توحد قواهم في مقاومة التطرف الديني.

❋ الاهتمام بالمرجعيات الدينية: استنادا إلى الالتزامات المشتركة بالسلام ندعو:الجماعات الدينية إلى:

١. إزالة القناع عن إساءة استعمال الدين مبرراً كاذباً وخاطئاً للتطرف الديني، وذلك من خلال تقديم التعاليم الأصيلة والحقيقية للأديان الإلهية التي تؤكد على الكرامة الإنسانية.

٢. تعزيز احترام الكرامة الإنسانية من خلال برامج عملية وملموسة يتم بلورتها من أجل التغلب على انتهاكات حقوق الإنسان والفقر وانعدام الخدمات الأساسية.

٣ تسوية النزاعات والصراعات عن طريق الحوار، وتعميق روح التفاهم بين المجتمعات بغية تعزيز التعايش المشترك.

٤. تدريب المجموعات الشبابية الدينية من خلال برامج مدروسة لتقديم النصح البناء دينياً وفكرياً وسياسياً، ويرفض كلما يدعو إلى التطرف.

٥. التضامن مع كافة المؤمنين رجالاً ونساءً من ذوي النوايا الطيبة في إدانة التطرف الديني.

٦ . صياغة برامج تعليمية وتدريبية على كافة المستويات تنبه عن خطورة التطرف والغلو في الدين.

٧. مكافحة التطرف الديني العنيف في مناطق الأزمات والصراعات والحروب من خلال برامج التوعية والارشاد.

٨. إقامة تعاون مشترك بين المجتمعات الدينية المختلفة والمؤسسات المرتبطة بها.
٩. بناء شراكات مستدامة بين الجمعيات والمنظمات التي تعنى ببرامج الشباب على مختلف الأصعدة.
١٠. دعم البرامج الدينية: إن التعاليم الدينية الأساسية حول السلام وحول عالمية الكرامة الإنسانية واحترام الاختلافات الدينية والالتزام الديني بالعمل معا هي مضادات قوية للتطرف الديني. فمن خلال تعاون المجتمعات الدينية والحكومات الوطنية والهيئات الرسمية ومهتمين آخرين من مكونات المجتمع المدني سيكون من الممكن مقاومة التطرف الديني.
١١. ضرورة وجود تعاون مجتمعي دولي لإقامة أسس الحكم الديمقراطي وحكم الأغلبية من خلال مؤسسات دستورية وقيام دولة القانون إضافة إلى احترام حقوق الإنسان الأساسية وحمايتها وضمانتها.
١٢. إشاعة حرية التفكير والوقوف ضد سياسة التمييز الطائفي، ودعم حرية التعبير والإعلان المشترك حول التشهير بالأديان وتفعيل قوانين مكافحة الإرهاب والتطرف الديني.
١٣. احترام دور الإعلام كأداة رئيسية لتحقيق حرية التعبير وتوعية الجمهور في كافة قوانين مكافحة الإرهاب ومكافحة التطرف. فللجمهور حق المعرفة الأعمال الإرهابية التي ترتكب أو المحاولات الإرهابية ولا ينبغي معاقبة وسائل الإعلام بسبب تقديم تلك المعلومات.
١٤. تنطبق القواعد الاعتيادية المتعلقة بحماية سرية المصادر الصحفية للمعلومات.
١٥. وضرورة وجود قواعد للتداول السلمي للسلطة وفقاً للدستور وطبقاً للالتزامات الدينية والدولية.
١٦. إعادة الاعتبار لمؤسسة العلماء: وهذا لا يتحقق بتدخل السلطات في عمل العلماء ورسمها لدورهم وتحديدها للمطلوب والممنوع من آرائهم وأنشطتهم، بل بالعكس، يجب على الدول العربية والمسلمة أن ترفع يدها عن العلماء وأن تترك لهم حرية القول والعمل لإن وجود العالم المستقل والمرتبط بالجمهور هو في صالح الجميع، بل أنه صمام أمان للأمة كلها تفزع إليه في الأوقات الحرجة وحين تبرز المخاطر والتحديات.
١٧. نشر الثقافة الدينية الوسطية: إن الناس يحتاجون إلى الدين وإلى ثقافته وعطائه، والذين يتصورون أن الثقافة الإسلامية يجب أن تكون محاصرة في وسائل الإعلام فقط

هذا يؤكد أن المسلمين بعيدين عن طلب التفقه في دينهم.

١٨. احترام حقوق المواطنة بأنواعها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، حتىٰ يقتنع المواطن بأن البلد الذي يعيش فيه هو بلده أيضاً، فيحرص علىٰ أمنه وازدهاره. أما إذا انفردت طبقة من الشعب بكل الامتيازات المادية والمعنوية، وتركت الجمهور الأوسع يتخبط في الجهل والفقر والحرمان، وكلما طالب بحق من حقوقه واجهته بقوات''مكافحة الشغب'' وبأنواع الشرطة العلنية منها والسرية؛ فإن هذا يعتبر وضعاً مَرَضِياً وغير طبيعي، ولا يمكن في مثل هذه الظروف منع استقواء التطرف؛ فلابد إذن من العدل الذي هو أساس الملك.

١٩. الحدّ من غلواء التطرف العلماني، وهذا واقع يجب الاعتراف به، ففي كثير من أراضي المسلمين يحدث أن تُهان المقدسات الإسلامية وأن يُسخر من النصوص والأحكام الشرعية، بل في بعض المناطق يُحارب الحجاب ويمنع علىٰ الطالبات والموظفات بالدولة والعاملات بالشركات، وبعض وسائل الإعلام لا تراعي أن مشاهديها مسلمون لهم آدابهم واعتقاداتهم، فتُكثر من صور الفسق ولا تحترم في برامجها الأخلاق والحدود الشرعية. وهذه الاستهانة بدين الأمة توشك أن تدفع المعتدلين إلىٰ دائرة المتطرفين. فالإسلام ليس ضحية الغلو فيه فقط ، بل كذلك ضحية الغلو عنه، ولذلك قال (المناوي):'' دين الله بين الغالي والجافي، وخير الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين'' .

فالتصدي ومواجهة التطرف الديني عبر إعداد وتطوير الأدوات الدينية اللازمة، وإعداد فريق عالمي متعدد الأديان للاستجابة السريعة، وتطوير الموارد والإمكانات الإقليمية في البلدان الحاوية للتطرف والإرهاب، ومواجه برنامج التطرف عن طريق حملة شاملة علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي، ومواجهة الرسائل المشبوهة التي يبثها الإرهابيون، والرد علىٰ المتطرفين دينياً في مناطق مستهدفة، ودعم وتقوية مجلس أديان من أجل السلام في منطقة الشرق الأوسط، والتواصل مع أصحاب العلاقة في خدمة الأهداف، سواء مع الحكومات أو الأمم المتحدة. والاستشعار بخطورة الموقف بسبب تفشي الأحداث الإرهابية في شتىٰ بلدان العالم، والعمل علىٰ إيقاظ الضمير الإنساني للخروج من تلك الكبوة، لتعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، والوقوف ضد المغالين الذين يسيئون استخدام الدين،

ويشوهون صورته ويوظفونه لأغراض لا تمت إلى رسالة الدين بصلة، ويعتمدون رسائل عنفية تتناقض مع روح الدين ومبادئه.

وللخروج من تلك الإساءات الزائفة التي تتعرض له الأديان اليوم ، بما يشوهُ حقيقتها ويوظفها في دعم التطرف ، وهو العنف الذي يتم تبريره من خلال أيديولوجيات دينية متطرفة لا تحترم الكرامة الإنسانية والحقوق المنبثقة عنها، كما أن هنالك أشكالاً أخرى للتطرف العنفي، منها تطرف الأيديولوجيات السياسية والإثنية التي لا تتورع عن قتل الأبرياء. فالتطرف الديني لا ينحصر في مجموعة واحدة أو في منطقة واحدة، وهو ليس وليد ثقافة أو دين محدد، ولكنه يلقي بظلاله على العالم برمته، وهو مرض خبيث وآخذ في النمو يقلق كل أنسان له السمو والرحمة.

وعلى الرغم من أن بعض الجهات الإعلامية تعمل على تضخيم كل عمل عدائي له صلة بالدين، كما تضخم كل اعتداء وجريمة كراهية وكل إساءة عامة، بما يؤدي إلى إطلاق موجات من ردود الفعل تعزز العداوات الاجتماعية التي تشجع بدورها على ارتكاب المزيد من التطرف الديني العنيف، فأن مثل هذه المعتقدات الدينية المزيفة تنطوي على الكراهية وليس على السلام، وهي تضع غشاوة على الأبصار تحول دون تمييز الأفراد والمجموعات بين الصحيح والسقيم. فالإيمان بالمعتقدات الدينية التي تدعو إلى العنف كثيراً ما تعزز في نفوس مريديه قبول الهمجية وسفك الدماء، كما تبرر وتدعي أنها الحق. فالاستخدام السيئ للدين يشكل مصدر قلق لدى كل المؤمنين بالله تعالى، لذلك ينبغي ألا نخلط بين الصياغات الدينية المتنوعة التي تحدد بدقة مشروعية استعمال القوة دفاعاً عن النفس، وبين الصياغات الغير موضوعية التي تدعو إلى العنف والعنف المضاد. وهنا يجب أن ترفض بشكل قاطع كل تبريرات التطرف الديني، وأن ندرك بأن التطرف يتأثر بعوامل محفزةٍ له ومحرضة عليه، وإن فهم هذه العوامل يساعدنا على التغلب عليه. فعلى الحكومات أن تتوقف وتمتنع عن تمويل ومساندة المجموعات الدينية المتطرفة، لأن مساندة هذه المجموعات يتيح لها أن تنمو وأن ترتكب المزيد من الأعمال الإرهابية في المستقبل. كما يجب إضعاف حوافز التطرف الديني عن طريق تعزيز ثقافة التسامح والاحترام المتبادل، والعمل على إزالة كل أشكال القهر الهيكلي، والحث على تطوير مؤسسات مستقرة قادرة على تقديم خدمات أساسية بغية إضعاف الحوافز الاجتماعية والاقتصادية

للتطرف الديني، إضافة إلى تعزيز سياسات تطوير المجتمعات المدنية، وتقويتها لإضعاف سطوة الحوافز النفسية التي تدفع الناس إلى العمل مع المجموعات المتطرفة. ومنع على دعم نشاط المجموعات الدينية والهيئات المتعددة الأديان، بما في ذلك المجموعات النسوية والشبابية في المجتمع المدني لمقاومة التطرف الديني. وإزالة القناع عن إساءة استعمال الدين مبرراً كاذباً وخاطئاً للتطرف الديني العنيف، ودحضه ورفضه، وذلك من خلال تقديم التعاليم الأصيلة والحقيقية للأديان التي ترفض التطرف العنيف، والتي تؤكد على الكرامة الإنسانية، وبالأخص من خلال التعليم الديني في أماكن العبادة المحلية. و تعزيز احترام الكرامة الإنسانية من خلال برامج عملية وملموسة تجري بلورتها من أجل التغلب على انتهاكات حقوق الإنسان والفقر، وانعدام الخدمات الأساسية، إضافة إلى التهديدات الخطيرة للكرامة الإنسانية، وينبغي لتلك البرامج أن تولي عناية خاصة بالشباب والنساء، والمشاركة في الحوار في سبيل تسوية النزاعات، وتعميق التفاهم بين المجتمعات بغية تعزيز التعايش واحترام الكرامة الإنسانية. وضرورة تدريب المجموعات الشبابية الدينية من خلال برامج مدروسة لتقديم النصح البناء دينياً، والذي يرفض التطرف الديني العنيف ويؤكد على الكرامة الإنسانية.والحث على التضامن مع كل المؤمنين رجالاً ونساء من ذوي النوايا الطيبة لإدانة التطرف الديني العنيف.

مالم يتم استيعاب المتغيرات الجديدة التي طرأت على ظاهرة التطرف في المنطقة والعالم ومالم يتم مواجهتها بكثير من الحكمة والعقلانية بعد الفهم العميق للظاهرة فإن من المكن ارتكاب أخطاء إضافية تؤدي إلى زيادة حجم المشكلة لا الحد منها. فلم يعد ممكناً مواجهة ظواهر التطرف والتشدد والإحباط بذات الوسائل القديمة التي كان البعض يصرّ على اللجوء إليها وقد أثبتت التجربة العملية فشلها. وهذه بعض المقترحات لمعالجة المشكلة وإيجاد السبل الكفيلة لحل هذه المعضلة:

❋ ضرورة التمييز بين التعامل مع التطرف في إطاره الفكري الذي يقتصر على الأفكار والقناعات والتوجهات، وبين التطرف الذي انتقل إلى دائرة الممارسة المادية في السلوك والقيم والاخلاق. فالأساليب المجدية في التعامل مع الأول قد لا تجدي في التعامل مع النوع الثاني. و ما هو ضروري للتعامل مع الشكل الثاني قد لا يكون ضرورياً للتعامل مع الشكل الأول وهكذا.

❋ جرت العادة على مواجهة ظاهرة التطرف بأحد أسلوبين: الأسلوب الأمني البوليسي، وهو المفضل لدى غالبية الأجهزة الرسمية والمؤسسات الأمنية العربية والإسلامية .والأسلوب السياسي والفكري عن طريق الاستيعاب أوفتح قنوات الحوار لإقناع من يحمل فكراً متطرفاً بأن أبواب التأثير والإصلاح بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وإراقة الدماء متيسرة أمامه وليست مغلقة. ومن الملاحظ أن غالبية الدول التي اقتصرت على التعامل بالأسلوب الأول لم تنجح بعد سنوات طويلة من المواجهة في الوصول إلى هدفها بإضعاف التوجهات المتطرفة، وكانت النتيجة مؤلمة للطرفين للسلطة وللمجموعات المتطرفة، وغالباً ما دفع المجتمع الثمن غالياً من دماء أبنائه ومن اقتصاده واستقراره نتيجة هذه المواجهة العقيمة.

خاتمة

بالطبع لم تعد مشكلة التطرف مشكلة محلية، مقتصرة على بلد واحدٍ، بل أصبحت مشكلة عالمية تشمل جميع أرجاء الوطن الإسلامي ، وعلى الرغم من أن ويلات هذه المشكلة مطروحة على الساحة في كثير من البلاد العالم، إلا أنها تتفاوت في حدتها من دولة لأخرى، فهي في بعض البلدان أكبر وأظهر من البعض الآخر؛ وهذا يعود لقوة العوامل المنتجة لهذه المشكلة؛ فيجب الحكومات والمؤسسات الدينية الرسمية الاهتمام بالتعاليم الدينية، وزيادة العناية بحاجات الأبناء والعمل على تلبيتها، ومعالجة ما يعانون من مشكلات نفسية واجتماعية وغيرها بشكل منهجي مدروس؛ وكذلك القيام بدراسات علمية للأسباب الاجتماعية الدافعة للعنف والعدوان. لمعرفة الأسباب والدوافع التي هؤلاء إلى الاعتراف بهذه الثقافة المتجردة من الكرامة الإنسانية.

وبعد هذا التعريف الموجزة للتطرف وتبيان ارتباطه الوثيق بالإرهاب، وبعد دراسة نتائجه الكارثية وآثاره الخطيرة على اصحاب الأديان عامة وعلى جميع أبناء الأمة العربية والإسلامية على وجه العموم، فعلى الجميع الوقوف صفاً واحداً ضد جميع أشكال التطرف والإرهاب ونبذ كل أشكال التعصب والانغلاق الفكري. فالشخصية الإرهابية ليست لها القدرة على إقامة علاقة سوية مشبعة مع الآخرين.

فالتطرف رد فعل على تطرف آخر، والعنف لا يولد إلا عنفاً مضاداً وسرعان ما يتحول الأمر إلى حلقة لا تحمد عقباها . وهنا يجب أن تتم معالجة الأسباب التي تشكل أرضاً خصبة لانتشار الأفكار المتشددة في العالم العربي والغربي بصورة موضوعية، لأن أي معالجات أمنية ستكون قاصرة عن مواجهة الظاهرة بل قد تكون سبباً إضافياً لتناميها. ومن هنا فقد باتت الحكومات ملزمة بإدراك أهمية إعطاء الفرصة لحركات مجتمعية مدنية تحاصر الفكر المتطرف بشكل مقبول، ومشاركة المجتمع في المعركة ضد الإرهاب، فالإرهاب رغم كل مساؤه إلا إنه عندما يضرب المجتمع ويهدد استقرار الناس وأمنهم فإنه يدفع المجتمع للتكاتف والتلاحم لمجابهة هذا الخطر، فلابد للحكومات العربية والإسلامية أن تستفيد من هذا القانون الطبيعي، وللخروج من هذا المأزق الخطير يجب فتح مزيد من الأقنية التي تتيح للمجتمع التعبير عن رؤاه وعن رفضه لمشروع الفوضى وتدمير الذات والتفافه حول ثوابته التي تضمن له الاستقرار والأمان حتى يستطيع تطويق دوائر التشدد

والقضاء على الفكر المتطرف وعلى تجار الموت. كذلك أن يتزامن مع هذا التحرك الواسع إطلاق حملات إعلامية شاملة وحزمة متكاملة ومترابطة من البرامج والأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتفاعل مع قضايا المجتمع، وتحويل متطلباته من متفرج إلى شريك أساسي يتحمل شطراً من المسؤولية في الدفاع عن كلياته الخمسة(الدين والنفس والعقل والنسل والمال). كذلك من الضروري بمكان الاهتمام بالتعليم والأمن وتطوير البنية الاقتصادية والسياسية. وأخيرا فإن التطرف الديني لا يمكن علاجه علاجا حاسما إلاّ بأمرين، وهما:

❋ الحوار الجاد والمجادلة بالتي هي أحسن من خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتبرة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمهم المحاور ويعترف بجدارتهم.

❋ الجد والحزم في معالجة أسباب الغلو، بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء.

قائمة المراجع

- إبراهيم،منتصر أحمد(١٩٩٧م). السلفية الجهادية ومهددات الأمن القومي السوداني؛ مطبعة الحوراني؛ القاهرة؛ط١.
- ابن الأثير(١٩٨٦م).الكامل في التاريخ.دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ج٢.
- ابن تيمية(١٤١٤هـ).الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.تحقيق علي حسن وآخرون.دار العاصمة، الرياض،ط٢.
- ابن تيمية،أحمد بن عبدالحليم(١٣٩١هـ). درء تعارض العقل والنقل.تحقيق محمد رشاد سالم.دار الكنوز الأدبية،الرياض،ط٢ج٢.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي (١٣١٤هـ). تهذيب التهذيب. دار العلم،القاهرة،ط٢.
- ابن حجر،الحافظ أحمد بن علي العسقلاني(١٤٠٧هـ).فتح الباري في شرح صحيح البخاري.دار البيان للتراث،القاهرة،ط١.
- ابن حزم، محمد علي (١٩٨٥م).الفصل بين الملل والأهواء والنحل.دار الجيل،بيروت،ط١.
- ابن كثير، عمادالدين إسماعيل بن عمر(١٩٨٢م).تفسير القرآن العظيم.دار المعرفة،بيروت،ط٢.
- ابن كثير،عمادالدين إسماعيل بن عمر(١٣١٤هـ).البداية والنهاية.دار الكتاب العربي، بيروت، ج٥ط٢.
- ابن منظور(١٩٩٤م). لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،ط٢.
- أبو زهرة،محمد(١٩٨٩م).محاضرات في النصرانية.دار الأمل، القاهرة،ط١.
- أبي داؤد،سليمان بن الأشعث(١٣١٤هـ).سنن أبي داؤد.كتاب الذكر والدعاء والتوبة.المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة، ج٤ط٢.
- إسماعيل، إسماعيل شاهر(بدون تاريخ). الموسوعة الجغرافية -أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر.
- الأصفهاني، راغب(١٩٦١م).المفردات في غريب القرآن.مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط٢.
- البخاري،أبوعبدالله محمد بن إسماعيل(١٣٣٦هـ).صحيح البخاري. كتاب أحاديث

الأنبياء، دار القلم،بيروت،ط٢.

- بوش، جورج(بون تاريخ).محمد صلى الله عيه وسلم، مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين. دار المريخ،ط١.
- الجرجاني، علي بن محمد(١٩٩٨م). التعريفات.تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي،بيروت،ط٢.
- الحاج، أحمد محمد(١٩٩٢م).النصرانية بين التوحيد والتثليث. دار دمشق للنشر، دمشق،ط١.
- حجازي، مصطفى(٢٠٠٦م). الإنسان المهدور،دارالفكر،بيروت،ط٢.
- حجازي،أكرم(٢٠٠٨م). مدخل إلى السلفية الجهادية ومشروعها الجهادي
- الخشن،حسين(بدون تاريخ). الاسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير. دار وهبة،دمشق،ط١.الجابري،محمد عابد(بون تاريخ).التطرف يميناً والتطرف يساراً. دار الأمل،دمشق،ط١. http://www.aljabriabed.net/gauche٣.htm
ياسين، السيد(بدون تاريخ).تشريح لظاهرة الفكر المتطرف. موقع العربية الالكتروني alarabiya.net
- دراز،عبدالله(١٩٩٣م).الموافقات. دار الكتب العلمية،بيروت،ط١.
- الرازي، أبوبكر محمد(١٩٥٠م). المصباح المنير. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،ط٣.
- الزحيلي، وهبة(٢٠٠٥م). إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور ، مجلة الوعي الاسلامي، العدد رقم: ٤٨١ ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت،ط١.
- الزيات،منتصر(٢٠١١م). ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج. من موقع الكاتب نفسه http:// www.alzayat.com
- السقّاف،علي بن عبدالقادر(٢٠١٠م).الموسوعة العقدية.مكتبة الدرر السنية.باب حماية النبي،ط٢.
- السيابي، أحمد بن سعود(٢٠٠٥مم).المولد النبوي، نظرة تصحيحية في الأحداث والوقائع. مكتبة الغبيراء، ط١.شريعتي، علي(١٩٨٤م).النباهة والاستحمار. الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط١.

- السيد، رضوان(١٩٩٠).الصراع على الإسلام.مكتبة ألامل،بغداد.
- السيوطي(بدون تاريخ). الأشباه والنظائر. دار الفكر،بيروت،ط.٢
- الشريف، جمال(٢٠١٢م). السلفية في السودان: انقسام بين التسليم والصدام،ط١.
- الطويل،توفيق(١٩٤٥م).تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى.دار العلم، بيروت،ط٢.
- العالم، محمد نجيب(١٩٩٨م). تاريخ السلفية في السودان؛ دار النزهة؛ الجماهيرية العربية الليبية، ط.١
- عبداللطيف، خالد(٢٠٠٢). الارهاب الدولي –الكاتب خالد عبداللطيف .http:// alerhab com/page١.html التل،أحمد يوسف(بدون تاريخ). لإرهاب في العالمين العربي والغربي.دار العلم، بغداد،ط١.
- عثمان، صالح الزين(٢٠٠٩م). تنامي التيار السلفي الجهادي؛ دار الحوصي للطباعة والنشر؛ أم درمان؛ السودان؛ ط١.
- علال،خالد كبير(٢٠٠٠). التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي.دار الأمل،دمشق،ط١. الإدربسي، أبو زيد المقرئ(١٩٩٨). الغلو في الدين. الدار العالمية للطباعة والكتب دمشق،ط١.
- فهمي،سمبة أحمد(١٩٧٥م).الأسس النفسية للأتجاه الديني.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط١.
- القرضاوي، يوسف(٢٠٠١م). التطرف العلماني في مواجهة الإسلام. دار نشر المركز المغاربي للبحوث والترجمة، ط١، دار البدائل، بيروت،ط١.
- النوبختي(بدون تاريخ). الشيعة. دار الأندلس،دمشق،ط١.
- مسلم،بن الحجاج(١٣٣٠هـ).صحيح مسلم.دار الخلافة العلمية،دار السلام، القاهرة، ج٢ط٢.
- المناوي، لمحمد عبد الرءوف(١٩٧٢م).الفيض، دار الفكر،بيروت، ط٢.
- المناوي،محمد عبدالرؤوف(١٩٧٢م).فيض القدير.دار الفكر العربي،بيروت،ط١.
- النسائي،أحمد بن شعيب(١٣١٣هـ).سنن النسائي.موسوعة الدرر السنية،القاهرة،ج١ط٣.

- النووي،محي الدين أبي زكريا(١٩٩٦م).صحيح مسلم. دار السلام،القاهرة، ج٥ط٢.
- وطفة،علي أسعد(٢٠٠٢). التعصب ماهية وانتشارا في الوطن العربي. (نموذج العراق)، المعهد العربي للبحوث والدراسات الإستراتيجية،الكويت،ط
- ❋ Jonathan Riley-smith,(٢٠٠٥). The Crusades, A History, Yale University Press, New Haven and London.
- ❋ Karen Armstrong,(٢٠٠١). Holy War, Anchor Books, New York.
- ❋ Tyerman, Christopher,(٢٠٠٦). God´s War, A new history of the crusades Penguin Books.
- ❋ Riley-smith,٢٠٠٥. The Crusades, A History, Yale University Press, New Haven and London .

فهرس الموضوعات

رقم الايداع (2015/607م)